السنة الثانية　　العدد ١٨　　١٥ ايلول سنة ١٨٩٩

المشرق

نبذة

في الليتورجية القبطيَّة الحديثة والقديمة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انَّ خبر ارتقاء غبطة الحبر الفضال والعلاَّمة الملفان السيّد كيرلُس مقار الى الكرسي البطريركيّ الاسكندري على طائفة الاقباط الكاثوليك قد رنَّ صداهُ في جميع انحاء المعمور فصار من جرَّاء ذلك للامَّة القبطيَّة شأن خطير حبَّبها الى قلوب اهل الخافقين فودَّ كثيرون لو وقفوا على شيء من مميّزات هذه الطائفة وخواصّها الليتورجيَّة . فاجابةً الى سؤلهم اسرعنا الى كتابة هذه النبذة الموجزة علَّها تبرّد حرقة غلّتهم إلَّم تروِ حرَّتهم تماماً . فنقول :

ان تصفَّحت كتاب خولوجيون (١ الاقباط المطبوع حديثاً في المطبعة القبطيَّة المرقسيَّة (٢ وجدت انَّ لهم ثلاثة نوافير (٣ كباراً او قدّاسات يليها نافور صغير يُدعى تعمير الكاس

١ النوافير الحالية

النوافير الكبار الثلاثة المستعملة اليوم عند الاقباط تُنسب للملافنة القديسين باسيليوس وغريغوريوس وكيرلُس

واشهر هذه النوافير نافور القديس باسيليوس وهو اسقف قيصاريَّة من اعمال

١) الخولوجيون والافخولوجيون تعريب اللفظة اليونانيَّة Εὐχολόγιον ومعناها كتاب الصلوات

٢ ․ طُبع هذا الكتاب اوّلاً في رومية العظمى سنة ١٧٣٦ بهمَّة السيد الشهير روفائيل طوخي الجرجاوي اسقف ارسينوا حتَّى جُدّد طبعهُ آخرًا في المطبعة المرقسية التي انشأها غبطة السيد كيرلُس مقار

٣) النافور من اليونانيَّة ἀναφορά يُراد بهِ تقديس الاسرار

قبادوقية متّن برزوا بفضائلهم السامية وعلومهم القاصية في اواسط القرن الرابع عشر للمسيح. وكان سبب وضعهِ لهذا النافور انهُ احس من مؤمني عصرهِ فتوراً فخمدت حرارة ايمانهم وتراخت همّتهم في حضور الرتب الطقسيَّة التي وضعتها الرسل وكانت هذه الطقوس مطوَّلة يسأم الحضور لطولها فعمد القديس باسيليوس الى ليتورجية يعقوب الرسول اسقف اورشليم فاختصرها باللغة الرومية وسكبها في قالب جديد لينشط المؤمنين باستماعها. قال صديقهُ القديس غريغوريوس عنهُ في تأبينهِ: « وهو الذي نظّم ترتيب الصلوات المقدَّسة التي تتلى على المذابح ». وزاد القديس فرقلوس خلف القديس يوحنا فم الذهب على كرسي القسطنطينيَّة: « انَّ ليتورجيَّة القديس باسيليوس ملخَّصة عن ليتورجيَّة يعقوب الرسول وكليمنس تلميذ الصفا »

وما كاد القديس باسيليوس ينتهي من هذا المشروع الجليل حتى اخذت الكنائس الشرقيَّة نافورهُ الجديد وجرت عليهِ حتى عمَّ استعمالهُ بعد قليل كلَّ كنائس آسية الصغرى وكثيراً من كنائس الشام ومصر. ونافورهُ شائع بين الاقباط يتلونهُ في كلّ ايام السنة ما خلا بعض الاعياد. امَّا الروم فانَّهم يتلونهُ الآن في برامون عيدي الميلاد والغطاس وفي آحاد الصوم الَّا احد الشعانين وفي يوم خميس العهد وفي سبت النور وعيد صاحب النافور

ومن ليتورجيَّة القديس باسيليوس اشتقَّ القديس يوحنا الذهبي الفم ليتورجيَّتهُ وهي اقصر منها وقد شهد بذلك القديس فرقلوس خلفهُ (١ ولم يكن في الاصل بينهما اختلاف يُذكر (٢ ثمَّ زيد في كلتيهما بعض صلوات وطقوس منها التريصاغيون ادرجها القديس فرقلوس المذكور بعد المجمع الخلقيدوني بزمن قليل بايماز الملكة القديسة بلخارية على انَّ الاقباط الخاضعين للبطريرك الاسكندري لم يرضوا بتغيير ليتورجيَّتهم التي كانوا يعزونها للقديس مرقس البشير وجروا عليها مدَّة طويلة الى ان زادت سطوة بطاركة القسطنطينيَّة ونفذت كلمتهم في الشرق فصاروا يلحّون على بطركي انطاكية

١) راجع كتاب العلّامة دون غيرانجه (Don Guéranger) المعنون Institutions liturgiques الجزء الخامس ص ٢٣١ وكتاب منارة الاقداس للدويهي ٢ : ١٥٠

٢ وقيل انَّ ليتورجيَّة يوحنا فم الذهب مختصرة من ليتورجية الرسل وانَّهُ لم يلخّص الليتورجية الباسيلية. وزعم البعض ان الليتورجية نُسبت اليهِ اجلالاً لهُ. والصواب كما قلنا

والاسكندريّة باتباع طقوس عاصمة الروم. ولمّا قصد مرقس البطريرك الاسكندري مدينة القسطنطينيّة في غضون القرن الثاني عشر ورآه باسمون البطريرك القسطنطيني انّهُ يقدّم الذبيحة وفقاً لتقاليد كنيسته المصريّة انكر عليه ذلك وادّعى امام سلطان الروم « أنّهُ ينبغي على كلّ كنائس الله ان تقتني آثار رومية الجديدة وتقيم الذبيحة على طريقة الملافنين المعظّمين ومصابيح الايمان القديس يوحنّا فم الذهب والقديس باسيليوس » (١. فاضطرّ مرقس ان يتّخذ ليترجيّة القسطنطينيّة. ولعلّهُ هو الذي اذاعها في جميع الاقطار المصريّة. ثمّ انفصل الاقباط الكاثوليك بعد ذلك في القرن الثالث عشر وابوا الخضوع لبطاركة الاسكندريّة لما وجدوا فيهم من الذلّ والانقياد الى مطامع كنيسة القسطنطينيّة لكنّهم حفظوا نافور القديس باسيليوس وأنفوا ان يعودوا الى ليترجيّتهم بعد ان بطل عندهم استعمالها وألفوا ما سواها من الطقوس

وما يُقتضى هنا ملاحظتهُ انّ الليترجيّة اليونانيّة المنسوبة الى القديس باسيليوس تختلف في صلوات كثيرة عن الليترجية القبطيّة المعروفة باسمه وهذا الاختلاف نفسهُ موجود بين النسخ اليونانيّة القديمة فيستدلّ من ذلك على انّ الكنائس الشرقيّة تصرفت في ممرّ الاجيال بهذه الليترجيّة وزادت فيها بعض الصلوات وبدلت اخرى او اختصرتها حتى انّها لا توافق بعضها بعضاً اللهمّ الّا في اقسامها الجوهريّة (٢. وما لا ريب فيه انّ ليترجيّة الاقباط بقيت على حالها منذ القرن السابع

٢ الليترجية الثانية التي تجدها في كتاب الخولوجيون الاقباط تُنسب الى القديس غريغوريوس النزينزي المعروف بالثاولوغس. والكتبة المصريون كابن عسّال وابي البركات وجبرائيل بن طريق يشهدون بصوت واحد انّها لهذا الملفان الجليل. ولعلّ بعض العبارات الواردة في هذا النافور تزيد ذلك فانّها تشهد لصاحبها بالتضلّع في علم اللاهوت

على انّ هذا النافور لم يُعرف عند الروم الذين ينسبون الى غريغوريوس الثاولوغس ليترجيّة اخرى تعرف بالبروجيازماني (Προηγιασμένη) اي السابقة التقديس يتلونها في الصوم الكبير غير الاحاد والسبوت منهُ والثلاثة الايام الاخيرة من الجمعة الكبرى. وفي هذه الليترجيّة لا يصير تقديس الخبز والخمر وانّما تُتلى صلوات معلومة امام القربان

١) راجع تاريخ الكنيسة الاسكندريّة لصاحب النبطة البطريرك كيرلّس مقار ص ٢٩٦

٢) راجع رينودوت Liturgiarum Orient. Collectio I, 169 - 300

الذي سبق تقديسهُ. وليس بين صلوات البروجيازماتا وليتورجية الاقباط المعروفة باسم القديس غريغوريوس ادنى شبه وتطابُق

وهذه الليتورجية يستعملها الاقباط في بعض الاعياد الحافلة. ومن خواصها انَّ الكاهن يوجّه فيها صلواته الى الكلمة ابن الله الحيّ بخلاف ليتورجيَّتي القديسين باسيليوس وكيرلُس والخطاب فيهما الى الله الآب

٣ امَّا الليتورجيَّة الاخيرة التي يستعملها الاقباط فهي منسوبة لبطريركهم العلامة الجليل وشرف قطرهم المصري القديس كيرلُس. وعليهِ فانَّ هذا النافور يرتقي الى القرن الخامس للمسيح (١. لكن الصواب ان هذه الليتورجيَّة اقدم عهداً واعلى مقاماً فانَّ تقليد الكنيسة المصريَّة المتواتر يثبت انَّها لتلميذ بطرس هامة الرسل اعني مرقس الانجيليّ اوَّل ناشر الايمان المسيحي في الاقاليم المصريَّة وانَّما نُسبت للقديس كيرلُس لأنَّهُ هو الذي دوَّنها واثبتها في بطون الصفحات مع بعض التغيير وكان الكهنة قبلاً يتلقّونها من السلف مشافهةً لئلَّا يطلع المشركون على اسرارها السامية (٢. فمن ثمَّ يتَّضح ان هذا النافور شريف جدًّا لأنَّهُ من الآثار الرسوليَّة المنبئة باحوال الكنيسة في اوائل النصرانيَّة

والاقباط يستعملون هذه الليتورجيَّة الجليلة في عهدنا هذا ايام الصوم الاربعيني فقط. ولعلَّ ابطالها في بقيَّة السنة كان في زمن بلسمون البطريرك القسطنطيني الذي انكر على البطريرك مرقس التقديس بها كما سبق. ومن سمات هذه الليتورجيَّة انَّها ساذجة خلوة من بعض التصنُّع الذي وقع في الليتورجيَّتين السابقتين ليس فيها شيء من الدلائل المشيرة الى الهرطقات التي نجمت في القرن الرابع والخامس

٤ ثمَّ اعلم انهُ قد أُلحق بالليتورجيَّات الثلاث السابق ذكرها رتبة او نافور صغير يُدعى عند الاقباط تعمير الكاس (٣ وهو طقس معلوم يقدَّس بهِ دم الرب

---

١) راجع Duschesne : *Origines du Culte*, p. 54

٢) زعم الدويهي انَّ للقديس مرقس نافوراً وللقديس كيرلُس نافوراً آخر. وارتأى « دون غيرانجه » انَّ القديس كيرلُس وضع نافورهُ لاكرام القديس مرقس. والارجح ما اثبتناهُ

٣) انَّ للموارنة نافوراً يشبه هذا النافور اسماً يدعونهُ رسم الكاس لكنَّهُ يختلف معنًى وهو عندهم عبارة عن رتبة البروجيازماتا اي ما سبق تقديسهُ

الكريم اذا عرض للكاس عارضٌ اعني انَّ التقديس يعاد ثانيةً اذا لم تصحّ التقدمة الاولى لاحد الاسباب المذكورة في كتاب الاخولوجيون

٣ النوافير القديمة

هذه هي النوافير الشائعة اليوم عند الاقباط وفيها كلها مع قدمها مسحة من الآثار البوزنطيَّة سرت اليها من جرَّاء نفوذ بطاركة القسطنطينيَّة في سياسة المشرق وتدبير شؤون كنائسه بعد الاربعة المجامع الاولى

ولعلَّ سائلًا يسأل ألم يكن لنصارى مصر قبل هذا العهد ليترجيَّة اخرى قديمة تخلو من هذه التوافل ؟

نجيب على ذلك ان احد علماء العاديَّات الشرقيَّة اتانا في هذه السنة باكتشاف مهمّ هتك به قناع الشبهة من هذا القبيل. والعالم المذكور الماني الاصل يدعى ڤوبرمين (Wobbermin) اسعدهُ الحظّ بان يجد في دير لَفْرة بجبل اثوس كتابًا على رقّ النزال يتضمَّن مجموعًا من الطقوس النصرانيَّة في مصر والكتاب المذكور مخطوط في القرن الحادي عشر باليونانيَّة وهو مصدَّر برسالة للانبا سيرافيون اسقف مدينة طما (Thmuis) في القرن الرابع وكان سيرافيون هذا معاصرًا للقديس اثناسيوس الاسكندري وهو احد اصدقائهِ الحميمين والمنتصرين لهُ في جهادهِ ضدّ شيعة آريوس

وقد فحص العلّامة ڤوبرمين هذا الاثر الخطير فوجدهُ اشبه شيء بطقوس ذلك المصر وبيَّن أنَّهُ لا يجوز ان يؤخر تاريخهُ الى بعد اواسط القرن الرابع وان بعض الصلوات التي فيهِ هي لسيرافيون المذكور كما ورد ذلك صريحًا مرَّتين في الكتاب ولعلَّهُ هو مؤلّف القسم الكبير من هذا المجموع الشريف او يكون مؤلفها احد معاصريهِ بل احد اسلافهِ

ثمَّ انَّ لغة الكتاب وبعض ما يحتويهِ من الدلائل والاشارات التاريخيَّة لا تبقي ريبًا في انَّ هذا التأليف من اعمال القرن الرابع ومن جملة ذلك عبارة تلمح الى بدعة اريوس الحديثة وتنفي قولهُ الكفريَّ في اول بروزهِ

امَّا مضمون الكتاب فانهُ يشمل ما يتعلّق بالتقديس وتوزيع الاسرار المقدَّسة كالعماد والميرون والكهنوت والجنازات واجتماع ايَّام الآحاد. وكلّ هذه الرتب والطقوس

غاية في الاهمية والشأن تبيّن عادات المسيحيين الاقدمين وتثبت صحة تقاليد الكنيسة الكاثوليكيّة من هذا القبيل

بيد أنّنا نكتفي هنا ان نذكر النافور الذي سُطّر في افخولوجيون الاسقف سيرافيون فانهُ جدير بالاعتبار يؤيد تعالم الكنيسة ويزيّف اضاليل المبتدعين

والنافور المذكور قسمان. فالقسم الاول يحتوي على احدى عشرة صلاةً يتيمها الشعب المؤمن والموعوظون معاً قبل تلاوة الاسرار. وفي هذه الصلوات اشارة الى بسط الذراعين وغسل الايدي. وكان يُفصل بين الصلوات بقراءة من الاسفار المقدَّسة من العهد القديم والعهد الجديد. وهذا القسم الأوَّل يوافق مقدّمات القداس كما هو جارٍ اليوم في كل الطقوس الغربيَّة والشرقيَّة

امَّا القسم الثاني وهو المختصّ بالمؤمنين فانهُ يبتدئ بتقدمة التقادم ويلي ذلك تسبحة التريساغيون على هذه الصورة: «قدُّوس قدُّوس قدوس الربّ الصباؤوت. السماء والارض مملوءتان من مجدك ومن عظمة جلالك» وبعد التريساغيون صلوات منقولة عن كتاب «تعليم الرسل» الذي وجد في عهدنا وكان لوجوده صدًى حسن في كلّ جهات المعمور الكاثوليكيّ لقدم زمانه. ثمَّ يعقب ذلك ذكر عمل الرب في العشاء السرّي لمَّا بارك الخبز والخمر واحالها الى جسده ودمهِ الكريمين. كما ترى اليوم في الكنائس على اختلاف طقوسها

وفي اثر الكلام الجوهري ابتهال نعمة الروح القدس ('Επίκλησις) على التقادم حسب تقليد الكنائس الشرقيَّة قديماً. وبعد هذه الصلاة ادعية اخرى للشعب المؤمن ولانفس الراقدين بالرب «كي ينيلهم السكنى في ملكوته»

ثمَّ يتلو الاسقف صلوات الاستعداد لتناول القربان الاقدس يختمها بثلاث صلوات مخصوصة بكسر الخبز وهو طقس لم يُذكر ذكراً واضحاً في النوافير القديمة ما خلا نافور سيرافيون. ثم يتناول الاسقف الاكليروسَ الحاضر ويبارك الشعب ويختم القدّاس بدعاء الشكر الى الله

فهذا النافور كما ترى يوافق في اقسامهِ الجوهريَّة اقدم الليتورجيَّات المعروفة وهو شاهد جديد على قدم طقوسنا الالهية. واذا قابلناهُ بالليتورجيَّات الشائعة في القرون الاولى وجدنا انهُ اقرب الى نافور الكنيسة السريانية منهُ الى غيرها من الكنائس

والارجح انَّ الكنيسة الاسكندريَّة اخذتهُ عن ليتورجية القديس يعقوب الرسول والله اعلم

وفي الختام نثني على همة صاحب هذا الاكتشاف المهمّ لانَّ كتابهُ هذا انبأنا بلسان حالهِ على شأن نوافيرنا الحالية التي لا تختلف عن نوافير اجدادنا الَّا في الاعراض. فسبحان الله الذي لا يزال يؤيد ايماننا بوسائل جديدة وينفي عنا الشبهات بمنّهِ وكرمهِ والسلام

نبذة من كتاب الباكورة

للخورفسقفوس جرجس شلحت الحلبي السرياني

مقالة في تأويل قصيدة ابن سينا الشهيرة في النفس تأويلًا يحلها من ربقة الزعم الضالّ الذي بنيت عليهِ وهو قول افلاطون بان النفوس تقدَّمت الاجسام في الوجود. فلمَّا خطئت في السماء قضى الله عليها بسجن الجسد

١

هبطت اليك من المحلّ الأرفع ورقاء ذاتُ تعزُّز وتمنُّع

هذا البيت هو مطلع قصيدة مشهورة لابن سينا في النفس. وهي برمّتها تُلمع الى ما ذهب اليهِ افلاطون (١ من ان النفس وُجدت في السماء قبل اتحادها بالجسم. فلمَّا خطئت قضى الله عليها بسجن الجسد. وعلى هذا فقد شاهدت في زعمهِ الطبيعة الالهيَّة قبل تجسُّدها وستشاهدها بعد انتقالها من هذه الدنيا. وكان يقول ان النفس حياة خالدة محجورة في حبسٍ فانٍ والموت ضربٌ من البعث فان مات الحكيم انفتحت نفسهُ للحقائق السامية ورأت الله مبدعها

وذلك القول بان النفوس وُجدت قبل وجود الاجسام مردود عند الحكماء ببراهين قاطعة أخصها انَّ الله سبحانهُ لم يخلق الخلائق الَّا في حالة كمالها. ومن المعلوم انَّ كمال الانسان قائمٌ باتحاد النفس بالجسد. وناهيك ان النفوس ان كانت منذ بدء العالم فلا جرم انها كانت متحلّية بقواها العقليَّة عاملةً بها. فكيف يا تُرى نسيت كلَّ ادراكاتها السابقة ولا يردّ ذلك ما اتى بهِ افلاطون برهانًا على زعمهِ من ان النفس لا تكتسب معاني الجمال والحقّ والخير والعدل بالاختبار بل تنجلي لها كأنها تتذكَّر امرًا قديمًا على حدّ قول صاحب نظم السلوك:

(١ افلاطون احد مشاهير فلاسفة اليونان وتلميذ سقراط ولد سنة ٤٣٠ ق م وتوفي سنة ٣٤٧

وينبيك من شأني الوليدُ وان نشا بليدًا بإلهام كوحيٍ وفطنةِ
اذا أنَّ من شدِّ القماط وحنَّ في نشاطٍ الى تفريج افراط كربةِ
يُناغي فيلغي كلَّ كلٍّ اصابهُ ويصغي لمن ناغاهُ كالمتنصتِ
وينسيه مرُّ الخطب حلوُ خطابهِ ويُذكرهُ نجوى عهودٍ قديمةِ
اذا هام شوقًا بالمناغي وهمَّ ان يطير الى اوطانهِ الاوليَّةِ
يُسكَّن بالتحريك وهو بمهدهِ اذا ما لهُ أيدي مُربّيهِ هزّتِ

فانَّ هذا القول انما هو مردودٌ ايضًا. وتلك المعاني تُكتسب بالافكار والتأمل بعد تجريد الصور من العلائق المادّيَّة ونقل الجزئيَّات الى كليَّاتها. حتى ان المذهب الصحيح في الفلسفة ان تصوّرات غريزيَّة في الانسان بل كلُّها تحصل لهُ بطريقة الاكتساب. والعقل يُوجد في مبدإ امره مستعدًا لقبولها كانَّهُ «صحيفة صقيلة لم يُكتب فيها شيء» (١ كما شبَّههُ ارسطو تنطبع فيهِ الافكار بالتدريج شيئًا فشيئًا

ولقد جاء في كتب اوريجنيس الملفان ذكر ذلك الزعم الضالّ بقدم النفوس. وقيل ان بعض المبتدعين حرَّفوا كتبهُ والله اعلم وكان هؤلاء التابعون مذهب افلاطون يعلّمون ان النفوس خُلقت في البدء ثمَّ سقطت في الخطيئة. فبرأ الله العالم ليكون سجنًا لها وعقابًا (٢. وقد حرَّمت الكنيسة هذه البدعة في المجمع الخامس المسكوني عام ٥٥٣.

ولا يحقّ لنا ان نجرّد عضب القدح والطعن على افلاطون. من حيث انهُ كان رجلًا وثنيًّا لم يُشرق عليه الديانة المسيحيَّة بانوارها الالهيَّة اللامعة واضواء وحيها الساطعة. فكان نورُ العقل قائدهُ الوحيد في مباحثهِ السامية. وما اقتبسهُ من مبادئ الاديان او هي الفلسفة الشرقيَّة كان عقائد اعتورت معانيها عادياتُ الزمان وتقلُّبات الحدثان. فاصبحت آثارًا مشوَّهة لعين الحقيقة لا تشفي بلَّها غلَّة ذلك القلب المحترق بحبّ الطبيعة الالهيَّة. ولا تفي أدلَّتها بما كان يشرئبُّ لهُ الى البحث عنهُ من الحقائق الفائق ادراكها طورَ العقل البشري. فلا لوم عليه ولا تثريب اذا كان قد سقط في اغلاطٍ وغوايات

بيد انَّ الذنب كلَّ الذنب على اولئك الذين كانوا سائرين في اشعَّة شمس الحقّ وقد تسكَّعوا في ديجور الاضاليل. وغرامهم بالفلسفة الاشراقيَّة ثم بالفلسفة الشانيَّة حداهم على التهوُّر في ما ينافي الوحي الالهيّ. فكان على تبَّاع افلاطون المسيحيين ان يتحرّوا

١) الخلاصة اللاهوتيَّة ق ١ مب ٧٩ ف ٢ وب ٨٤ ف ٣

٢) طالع شرح مجاني الادب ص ١٨٧ من القسم الاول

فلسفتهُ ويُصلحوا اغلاطها بما في الدين الحقّ من التعاليم الصائبة كما فعل القدّيس اوغسطينوس. وكان كذلك على مُشايعي ارسطو ان يُعتدوا فلسفتهُ وينقُّوها من أدران الخطإ كما فعل القديس توما الاكويني·

وهاءنذا ايضاحاً لما اثبتهُ اذكر على وجه المثل ما كان يجب فعلهُ على ممثّلي فلسفة افلاطون المسيحيّين في شأن قوله الضالّ بقدم النفوس. على ان الكتاب المقدّس في الفصل الاول من سفر التكوين يذكر خلقة الانسان صادعاً بأنّ النفس والجسد خُلقا معاً. فبذلك الوحي يبطل زعم افلاطون. وعلى هذا كان ينبغي لتابعيه المسيحيين لا ان يأتوا ببدعة تناقض الوحي الالهيّ بل كان يمكنهم ان يؤوّلوا ذلك القول تأويلًا مسيحيًّا موافقًا لهُ من غير ان يضلّوا. وانا على سبيل التجربة اذكر هنا تأويلًا مطابقًا للتعاليم المنزلة في شأن زعم افلاطون المشروح آنفًا فاقول:

ان هذا الزعم يُحاكي مُعتقد الهنود والصينيين والبابليين والمصريين والفينيقيين وغيرهم من الشعوب القديمة. وهؤلاء كانوا يعتقدون ما اعتقدهُ الاسرائيليّون من ان الأب الاول طُرد من الفردوس هو والامّ الاولى بسبب جريرتهما. ولكنّ هذا المُعتقد عند اهل آسية عدا الشعب الاسرائيلي كان ممتزجًا بافكار شعريّة وخرافات لا طائل فيها اختلطت بهِ مع تمادي زمن التقليد. ومصداقًا لذلك أُورد هنا ما أتى بهِ في هذا الصدد صاحب معجم (١ المقابلة بين تعليم الايمان الكاثوليكيّ وغيرهِ من التعاليم الفلسفيّة والدينيّة. قال رحمهُ الله لدى كلامهِ على الخطيئة الاصليّة ما مُحصّلهُ: «لو حاولنا ان نأتي على سرد كلّ التعاليم الوثنيّة التي لنا ان نثبت بها عقيدة الخطيئة الاصليّة اذًا لكان علينا ان نشفع بتاريخ وافر جميع هذه المزاعم الضالّة الناجمة عن تقليد سقاة الابوين الاوّلين. وهذا باب واسع مجال القول. فنجتزئ عنهُ ببيانٍ شافٍ نحقق بهِ ان الوثنيّين قد احتفظوا بهذه العقيدة الاساسيّة. وان مسخوها مسخًا. على ان الهنود مثلًا يعتقدون ان النفوس مُجلاة عن وطنها. وفي اثناء جلائها المشؤوم لا تزال متنقّلةً من جسم الى جسم. فان الممالك الطبيعيّة من حيوان ونبات وجماد انما هي مشحونة بالارواح الساقطة من محتدٍ شريف ووطنٍ منيف. وهي تنزع ابدًا الى العود اليه.

١) هو المجلد الثامن والثلاثون من موسوعات العلوم اللاهوتية التي نشرها الاب مين الشهير صاحب مكتبة الاكليروس الجامعة

فالعالم باسرهِ ان هو من هذا القبيل الّا مطهر رحيب ». فلعلّ معتقد هذه الامم التي اخذ عنها اليونانيّون خرافاتهم حمل افلاطون على ما ذهب اليهِ من ان النفس لمّا خطئت في السماء قضى الله عليها بسجن الجسد. دونك تأويل زعمهِ تأويلاً مسيحيًّا مفصّلًا. وفيهِ آتي على شرح مغزى تلك القصيدة البليغة لابن سينا. وهي التي جئت بمطلعها في مُفتتح الكلام:

تبكي وقد ذكرت عهودًا بالحمى بمدامعٍ تهمي ولمّا تُقلعِ
حتى اذا قرب المسيرُ الى الحمى ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسعِ
هجعتْ وقد كُشف الغطاء فابصرت ما ليس يُدركُ بالعيون الهجّعِ

انّ الدين قائمٌ بذكر الله. والانسان الخالع ربقة الدين هو ذلك الذي لا يذكر الله ولا يترجاهُ « قال الجاهل في قلبهِ ليس اله ». ومنذ نشأة الانسان كلّما كانت تكمل عبادة البارئ عزّ جلّ وديانتهُ الحقّة كان يكمل ذكرهُ ورجاؤُهُ (١. فبادئ بدء قد طُرد ابوانا من جنّة عدن لداعي معصيتهما وجلبا معهما ذكر الخالق الذي كانا قد رأياهُ وسمعاهُ وكلّماهُ في الفردوس ورجاءهُ الذي سوف يجبُرُ صبحهُ لهما ولذراريهما لِما قيل من ان « المرأة ستسحق رأس الحيّة » وعُني بالمرأة امّ الله الفادي وبالحيّة ابليس عدوّ البشر. ولكن كم كان ذلك الذكر مُرمضًا مُمضًّا وكم كان ليل ذلك الرجاء بعيدًا تباشيرُ فجرهِ. فكأنّي بلسان حال ابوينا ونسليهما يصيح اذ ذاك منشدًا:

الا ايها الليل الطويل الا انجلِ بفجرٍ نهارٍ مَطمحٍ للمؤمّلِ
ومنا عهدناهُ المفضّل لم ننَـل بصبحٍ وما الاصباحُ منك بأمثلِ

فقام الدين ردحًا من الدهر بذينك الذكر والرجاء والآباء الاوّلون لم يكن لهم تعزية الّا بهذه العلالة في عالم الشقاء. فكانوا يُكرّرون على مسامع ابنائهم وحفدتهم انهم مُجلون عن الوطن السعيد حيث كان الجدّان معاشرين الله. بيد انهم بحسب وعدهِ تعالى سيعودون اليهِ سالمين غانمين اذا آمنوا وعملوا الصالحات. وبذلك كان يُسكّن روعهم ويُسرّى عن افئدتهم وتعذب لديهم مرائر الحياة:

وما صبابة مشتاق على املٍ من اللقاء كمشتاق بلا املِ

فكان « ابناء الله » يذكرون العزّة الالهيّة فيرجونها ويتصوّرونها فيحبّونها ويتمثّلونها.

---

١) اقتبستُ هذا المعنى الشريف من خطبة نفيسة في التاول الروحي للخطيب المصقع الاب لاكردار الفرنسوي الدومينيكي الخطير

فيتوقون الى بهاء رؤيتها وسناء طلعتها على حدّ قول الشاعر :

وما برحوا مني امام عيني فان نأوا صورةً في الذهن قام لهم شكلُ
فهم نصب عيني ظاهراً حيثما سروا وهم في فؤادي باطناً اينما حلّوا

وعلى ذكر الطرد من جنّة عدن ورجاء الرجوع اليها استمرّ الذين قائمًا الى ان اخذ ذانك الذكر والرجاء ينقصان بين الآدميين على تمادي الزمن وترامي مسافة تحقيق الرغبة في العود الى ذلك الوطن حتى نُسي الخالق وعُبدت الخلائق وكادت تمّحي من لوح الاذهان تلك سطور التقليد الذهبيّة الخلاصيّة بما طرأ عليها من صدإ الاوهام والخرافات الخياليّة. فصحّ حينئذٍ القول في النفس اذا حُمل على محلٍ مجازي وعُني به الجنس البشري:

وصلت على كرهٍ اليك وربّما كرهت فراقك فهي ذات توجعِ
أنفت وما ألفت فلمّا واصلت ألفت مجاورة الخراب البلقعِ
وأظنها نسيت عهودًا بالحمى ومنازلًا بفراقها لم تقنعِ

ولمّا زاد الآدميّون تمادياً في طنبور طغيانهم وتاهوا وعربدوا في مهامه نسيانهم وكفرانهم ما خلا صفوةً منهم اقاموا على ذكر الله ورجائه وقليل ما هم شاء الله ان يُجدّد وجه الارض ويبعث ذكره ورجاءه من رمس الاهمال. فغطّى البسيطة بالغمر وسُرّ عدله بان تُثلّ دعائم ذلك المعمور الذي علته البشر بطامّةٍ كبرى أبقت لها اثرًا في كلّ اين وآنٍ فأين ومتى اتّجهت معارف الانسان تُلفي يد الله متطبوعةً في الخلقة ثمّ في بقايا الطوفان. ولقد خلّص منهُ نوح واسرته وخرجوا من الفُلك سابحين معهم ذكر الله الذي أخلى الارض وانقذهم من هذا البلاء العميم ورجاءهُ الذي أصبح حينئذٍ وثيق العرى موطّد الاركان. وقوس قُزح الذي اراهُ الله نوحًا بين الغمام علامة ذلك الرجاء وتذكارًا لحفظهِ وعترتهُ من تلك الجائحة التي استأصلت شأفة البشر وأبادتهم عن آخرهم

بيد ان ذكر نوح ورجاءه لم تلبث يد الزمان ان عبثت بهما وراح الآدميون يعيدون الاوثان وطغى الجهل وطمى الفساد وكاد ذلك التقليد الصحيح تُنسف رسومهُ بما عاد فعصف عليها من سوافي الخرافات وهُوج الترّهات التي على ما يبين ورَّطت فيما بعد افلاطون ان يذهب ذلك المذهب الضالّ. فنظر الله الى الارض فاسخطتهُ شرورها.

فهمّ بالانتقام. فذكر عهدهُ مع نوح. فشتّت على جبلة يديهِ. واشتقّ من ان يُنقذ من بين البشر ذكرهُ ورجاءهُ. فدعا رجلًا بقي مقيمًا على عبادتهِ وهو ابرهيم خليلهُ وامرهُ ان يبرح وطنهُ ويغادر عشيرتهُ. واختار لهُ بلاد فلسطين ووعدهُ بان يورثها ذرّيّتهُ التي سيجعلها شعبًا عظيمًا يُبارك فيهِ كلّ امم الارض وسُميت لذلك ارض الميعاد. ولمّا اوعز اليهِ ان يُضحّي ابنهُ اسحق الذي كانت تضحيتهُ رمزًا وشبهًا لذبيحة ابنهِ الوحيد وهمّ هو بذلك مُطيعًا أمره الالهي أوقفهُ واستأنف لهُ مواعيد الرجاء. واقسم لهُ بذاتهِ ان سيُخرج منهُ مخلّص العالم

واستمرّ ذكر ورجاء ابرهيم واسحق ويعقوب والانبياء من بعدهم محفوظًا في الاسرائيليين حفظًا لم يكن ليُزيلهُ كرّ الاعصار حتى انّ اليهود الذين عُميت بصائرهم ولم يؤمنوا بمجيء الفادي لو لم يحتفظوا بذلك التقليد لكانت قد بادت جنسيّتهم واضحوا أثرًا بعد عين

وما زال ذانك الذكر والرجاء سائدين بين شعب الله المختار الى ان حُمّ إبّان تحقيق المواعيد. فجاء يسوع المسيح الاله المتأنس ورآهُ وسمعهُ ولمسهُ في شخص التلاميذ واليهود البشرُ باجمعهم. وما برح الرُّسل عرضةً للشكّ لداعي إقامتهم على العهد القديم الى ان مات المخلّص وقام فاقام معهُ ذكره ورجاءهُ الجديدين صاعدًا الى ابيهِ فاتحًا للآدميين تلك الابواب الدهريّة التي كانت قد أوصدت بسبب المعصية الجدّيّة. فتقوّى بذلك الرُّسل وانتعش التلاميذ. وانتشروا يبثّون الدين الحقّ في اصقاع المسكونة هم. وخلفاؤهم من بعدهم الى ان دُكّت عُمُد الكفر وانقلبت الاصنام ودخل الناس في دين المسيح افواجًا. وثبتت الكنيسة التي أسّسها على الصخرة بطرس حافظةً برأسها المنظور حفظًا معصومًا من الغلط ذكر تعاليمهِ ورجاء مواعيدهِ وستدوم ثابتةً الى انقضاء الدهر. وهو تقدّس اسمهُ معها وفي وسطها فلن تتزعزع ولن تقوى عليها ابواب الجحيم

هذا ولقد وجدت في مقدّمة القسم التاريخيّ من كتاب آثار الادهار رأيًا غريبًا في تفسير السبب الذي حدا افلاطون على ان يذهب الى القول بقدم النفوس. فدونكهُ على علّاتهِ: « بديهيّ انّ جميع هذه العلوم صدرت عن العقل وتقدّمت باقبال الانسان عليها كما تقدّم هو بتقدّمها ولولا ما ذكر من عوارض ضعفهِ لبلغ من النجاح غايةً لا

يكاد يتصوَّرها الآن. على انَّ مرور الأيام وبقايا السلف ما زالت تزيدهُ تقدُّماً. فانهُ مخلوق عاقل ينتفع بما يرى وما يُطلعهُ عليهِ التاريخ من احوال الماضين فانهُ يكتسبهُ مزونة الامتحان. وحسب التاريخ بهذا فضلاً. ولولا ذلك لفنيَ الانسان في طلب ما وجدهُ غيرهُ من قبلهِ وانتثر سلك الاختراعات بتقادم العهد وتبدُّل الاعصار فانَّ العالم قديم لا محالة وان اختُلف في تحديد زمنهِ لانَّ وضع بعض العلوم والفنون ممَّا عرف الهنود والبابليُّون والمصريُّون وغيرهم من الشعوب القديمة اقتضى بلا ريب زمناً طويلاً. وربما كان ذلك ممَّا حمل افلاطون على ما زعم من انَّ نفس الانسان تكون قبل حلولها بالجسم في محفل الآلهة عارفة اسرار الخليقة فاذا هبطت الى الجسم ليتولَّاها الضعف حتى تصير كأنَّها سُلبت تلك المعرفة. ولا تلبث بعد ذلك ان تتجرَّد من ذلك الضعف فتجد ما أضاعت او تتذكَّر ما نسيت »

امَّا التأويل الذي أُتيتُ بهِ لذلك الزعم فلست باوَّل من قالهُ فانَّ الخطيب العصري الشهير الاب منسبري الفرنسوي الدومنيكيّ قال في عرض خطبتهِ في معرفة الله بعد اذ سرد زعم افلاطون ما نصُّهُ: « يمكن ان يُفسَّر هذا التعليم الغريب بتطبيقهِ على سقطة الانسان ». وقالت المجلَّة الفرنسويَّة الموسومة بالكاثوليكيَّة في عددها الصادر في كانون الثاني عام ١٨٥٦ ما تعريبهُ: « لا خفاء انَّ نفسنا على رأي افلاطون قد شاهدت الكلمة الالهيَّة وعرفت الحقَّ في حياة تقدَّمت حياتها الحاضرة ثمَّ حُبست عقاباً لها على مآثمها في جسدٍ أرضيّ مائت. فاضاعت معارف كانت محرزةً لها سابقاً حتى انَّ التعلُّم للانسان انْ هو الَّا ذكرى. وقد قال العلَّامة اللاهوتيّ الاب لويس تومسَّان: لو وضعت عوضاً عن هذه القصة الخرافيَّة الحادثة التاريخيَّة الصحيحة وهي حالة برٍّ وسعادة وحظوة الابوين الاولين التي كانَ بالجنس البشري حصل في شخصيهما عليها وفقدها بسبب جريمة العصيان. اذاً لكنتَ تُلفي في زعم افلاطون الضالِّ أثراً للتعليم المسيحيّ القويم».

وما احسن وابدع ما قالهُ في النفس القدّيس اوغسطينوس في الفصل السادس والعشرين من الكتاب الاول من المكتبة الروحيَّة المشتمل على تأمُّلاتهِ. فهاكهُ مُعرَّباً شعراً بقلم المترجم اثابهُ الله:

النفس جلَّ سوَّالها في الارض حلَّ عقالها
تبكي وتندب اربُعاً فُقدت بسوء فعالها

ذكرى الحرارة في الشتا   زادت على اثقالها
لكن اذا بلغت الى   اوطانها ومآلها
نالت من الافراح ما   يُربي على آمالها
فرح الجنانِ اذا بدا   تُكفى ضنى احوالها
فرحٌ تنوه بوصفهِ   لسنُ الورى بمقالها (١

وختامًا لما اثبتُّهُ في هذه العجالة آتي هنا بقطعة نظمتها في هذا الصدد وضمّنتها صدر مطلع معلّقة امرئ القيس وهي :

الذكرى

خليليَّ نجوى عهدنا المتقادم   رمتنيَ في موج الهوى المتلاطم
«قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل»   هما الله والفردوس موطن آدم (٢
يذكّرنيَ التقليد والوحي بالذي   جرى قدمًا والذكر شقوة عالم
فابكي على فقد السادة نادبًا   وألطم خدّي قارعًا سنَّ نادم
وتوشك نفسي ان تفيظ تلهّفًا   على وطن الجدّين محلّ المظائم
فينعشني رجوُ المعاد الى الحمى   فاسعى لكسب الاجر سعي الاكارم
أُزجّي حياتي في المبرّات دائبًا   رجاء امتاع بالسعادة دائم

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تتمّة)

١٦ اسلحة اليزيدية

من اسلحتهم الاسلحة الناريّة الحديثة المستعملة عند الجميع. واما قبل خمس عشرة سنة فكان من اسلحتهم « تفنكة الششخان » وهي البارودة المسدّسة الانبوب من الداخل. وكانت من أهول البواريد المعروفة في تلك البلاد يومئذٍ والقَرَبينة وهي بندقيّة قصيرة خفيفة واسعة الفم والفرد وهو معروف. وما كان لهم عهد بغير هذه الاسلحة الناريّة. اما ألواح السلاح (٣ فمنها الرماح المتّخذة من القنا الهندي (Bambou)

---

١) كذا رأيت اصلاح هذه الابيات   ٢) ليتنفر لي سادتي العروضيون هذا السناد الذي لم يجزهُ الخليل. والّا فليكسروا الدال حاسبين اللفظة اعجميّة. فلا بأس في التصرّف بلفظ الكلم الاعجمية ولاسيما اذا دعت اليهِ ضرورة الشعر

٣) وهي التي سمّاها بعض الكتبة الحديثين الاسلحة البيضاء تعريبًا للفظتي Armes blanches

ذوات الاسنة المذلقة . والسيوف والشمشير وهو صفيح اعقف قطّاع (Cimeterre) والكلمة فارسيّة ومعروف عندهم بهذا الاسم . والمِشمَل ويسمّيها البعض القامة وهو ضرب من المدية عريض متوسّط الطول منها ما هو براسٍ واحدٍ ومنها ما هو براسين اي حدّين . والخنجر والدبّوس ويسمّيه البعض الطبّوس بطاء مثالة وهو النبّوت عند اهل سوريّة . والقِيار وهو دبوس ذو كرةٍ من القار في رأسه . والكُلُنك وهو المِقتاص عند العرب اي شبه رمّانة تكون في طرف عمودٍ من حديد تنقص كل شيء ادركتهُ (Masse) والبلطة ذات راس وذات رأسين وغير ذلك ممّا لا فائدة في ذكره

١٧ مساكنهم

يتحصّل ممّا ذكرناهُ في فصل قبائل اليزيدية انهم حضر واهل مدرٍ ووبر . امّا الحضر فيأوون الى منازل مبنية بالحجارة او الآجرّ او اللبن على الطرز المعروف في تلك النواحي . وامّا اهل المدر فهم الذين يقيمون في بعض القرى الصغيرة الحقيرة متّخذين مبانيهم من المدر لا غير . وامّا اهل الوبر فهم الرُّحّل ويسمّون عندهم بالكوچر (Cotchar) وهم يظعنون لارتياد مواقع الغيث ومواطن الكلإ ويتّخذون خيامهم من الشعر والوبر باشكال مختلفة على النمط المعروف عند اهل البادية من العرب

١٨ محلّ وجودهم وقُراهم ومدنهم

يؤخذ ممّا ذكرناهُ في مطاوي هذه المقالة وتضاعيفها ان من اليزيديّة من هم موجودون في الهند وهم المعروفون باسم اللّبخوس او البكوس . ومنهم من هم في بلاد الروس في بلاد كوه قاف وهم السرحدار . ومنهم من هم في شمال شرقيّ سوريّة وهم المليّة . ومنهم منتشرون في بلاد ما بين النهرين او الجزيرة وهم المعروفون باليزيدية وذلك من باب التغلبة . امّا مدنهم فمنها :

١ (سِنجار) بكسر الاوّل واسكان الثاني جبلٌ وبلد مشهوران على ثلاثة ايّام من الموصل وسنجار مأخوذ من سَنجر كجعفر بالفارسيّة لان تلك النواحي كانت

الافرنجيين والبعض الآخر سمّاها الاسلحة القاطعة وكلاهما لم يستعملهُ العرب بالمعنى الذي اوردناهُ ولا يجوز لنا ان نستعملهُ لانّ الابيض ان كان يصدق على ما ليس بناريّ في اللغات الاعجميّة لا يصدق معناهُ كذلك في العربية . واما القاطعة فلا تصحّ هذه التسمية الّا ببعض تكلّف لان في الواح الاسلحة ما ليس بقاطع فاذا اطلقت هذه التسمية عليها يكون من باب تسمية الكل باسم الجزء . وعلى كلٍّ لا يجوز ترك ما هو معروف عند العرب للتشبّث بما لم يكن معروفًا عندهم

من بلاد الفُرس قديمًا وهم اول من سمَّاها بهذا الاسم. ويُراد بهِ طيرٌ من الجوارح وهو النسر على ما يُظنّ وسبب تسمية هذا الجبل بهذا الاسم ان اللائذ بهِ يصبح كالنسر منيعًا امينًا لا يُرام ولا يُنال

٢ً (الشَّيخان) وهي ارض واسعة فيها قُرى عديدة تُربي على العشرين. وهي كلمة فارسيَّة ومعناهُ الشيوخ اي بلاد الشيوخ

٣ً (بَحشيقا) والبعض يقول بَعْشيقا وهو خطأ او لغة وهي قرية على مسير ست او سبع ساعات من الموصل. فان قلت بحشيقا بالحاء فهي منحوتة من ܒܝܬ ܫܚܝܩܐ الكلدانيَّة اي بيت المسحوق. وان قلت بَعْشيقا بالعين فهي من ܒܝܬ ܥܫܝܩܐ اي بيت المظلوم او بيت المُتَّهم

٤ً (باعِذري او باعِدري) وقليلٌ من الناس يقول بَعْذِري وهي لغة قبيحة. وهي على اربعة واربعين كيلومترًا من شمال شرقيّ الموصل. والكلمة كلدانيَّة او سريانيَّة منحوتة من ܒܝܬ ܥܕܪܐ اي بيت الملتجأ (١

٥ً (شيخ عادي) اي قرية الشيخ وهي قريبة من البليدة المذكورة قبلها

٦ً (بحزاني) وهي منحوتة من ܒܝܬ ܚܙܘܢܐ اي مكان الوحي او بيت الوحي او الأحسن الموحى

٧ً (عَيسِفْنِ) من ܥܝܢ ܫܦܝܐ اي عين صافية او من ܥܝ̈ܢܐ ܫܦܝ̈ܬܐ اي عيون صافية

٨ً (طَفْتيا) لا نعرف معنى هذه اللفظة

٩ً (كَابار Gâbâr) من ܓܢܒܪܐ اي جبَّار واصلها ܒܝܬ ܓܢܒܪ̈ܐ اي بيت الجبابرة

١٠ً (خُوزِرْزا Khôrezâ) من خود بالفارسيَّة اي حقير و رز اي عنب ومحصَّلهُ منبت العنب الذميم

١١ً (بوزان Bôzân) بجوار ألقوش القرية الكلدانيَّة الشهيرة من ܒܘܣܢܝܐ او ܒܘܣܢܐ ومنها اسم المؤلف الشهير الكلداني مار يوسف بوسنايا

١٢ً (شَيخَذري) وهو تصحيف الشيخ خضر اي قرية الشيخ المذكور

١) اننا في تعريب هذه الكلم السريانية نقول بيت... تعريبًا حرفيًا والاصحّ ان يُعرَّب بصيغة المكان لا غير. فاعلمهُ

١٣َ (تَلخَش) من ܬܠ ܚܫܐ اي تل الآلام وهي قرية عالية الارض استشهد فيها كثير من النصارى في ايام الفُرس

١٤َ (با قصري) من ܒܝܬ ܩܨܪܐ اي بيت القصّارين

١٥َ (سينا) اي قرية القمر ܣܝܢܐ

١٦َ (كرشكَنتي) من كرس بالفارسيَّة اي الكردوسة وشَكِستَه اي المدحورة او المكسورة وكان اصحابها من النصارى قد كُسروا فيها على يد كردوسةٍ من الفُرس

١٧َ (خانكو قَپاخ) والبعض يقول خانكو قپاق او خانچوقپاخ . من خانقاه بالفارسيَّة وهو معروف اي دار الدراويش وقپاق القَرع وكانت بادئ بدء خانقاهاً للدراويش مولعين باكل القرع الذي كانوا يزرعونهُ في ارضهم

١٨َ (خَطار او ختار) مقطوعة من ܒܝܬ ܚܘܪܐ اي مكان قصر الثياب

١٩َ (دُو غاتا) من دو بالفارسيَّة اي اثنان وغاتار اي غادِر ومعناها القرية التي كان يأوي اليها الغادران الشهيران

١٣َ (سَر بچكا) من سَر بالفارسيَّة اي راس وبَچكان جمع بچه اي اطفال وهي القرية التي قُطع فيها رؤُوس كثير من اطفال النصارى

٢١َ (پير بوبي) والمعنى ظاهر اي قرية الپير المسمَّى بوبي المدفون فيها

٢٢َ (مَقلُب) وهو اسم جبل مقلوب عندهم بجوار دير مار متى بقرب الموصل

٢٣َ (جَكاتا) من جاه الفارسيَّة اي مكان وكَاهان جمع كَاه ومعناهُ المنقِص وكان اصحاب هذه القرية مشهورين ببيعهم الناقص وزناً

٢٤َ (زَينيا) من ܙܝܢܐ اي الاسلحة . ولعلَّها كانت مستودعاً للاسلحة عند انشائها

٢٥َ (جَرحيا) ومعناهُ بالكرديَّة مكان الجرح . ويوجد غير هذه القرى أضربنا عن ذكرها حبًا بالاختصار

بعد ان ذكرنا قرى اليزيدية بوجهٍ خاصّ لننظر اليها الان بوجه عامّ فنقول ان كل قرية من هذه القرى تشتمل على بيوتٍ لا يتجاوز عددها الستين فيها مزارع وبساتين تكثر فيها انواع الفواكه . وكل هذه القرى متجاورة وهي عند حضيض جبل سنجار وتحيط بهِ احاطة الهالة بالقمر . وسعة الجبل مسيرة ثلثة ايام ويكثر فيهِ من الاشجار البلوط والجوز واللوز والحبة الخضراء وغيرها . وهم يزرعون الصيفي بالدَّشت وسعتها

مسيرة ساعتين. ولكلّ قرية من هذه القُرى الموجودة عند اسفل جبل سنجار منارة فيها مصنع للماء. ويتخذون هذه المغاور في ايام الحرب بمنزلة قلاع ياوذون اليها هم وكُراعهم وكل ما معهم

١٩ تاريخ احوالهم

كان اليزيديّة في غرّة القرن الثامن عشر ٢٥٠,٠٠٠ نسمة منهم ٤٠٠٠ فارس و ٨٠٠٠ راجل من الجنود. وصاروا في اول هذا القرن ٢٠٠,٠٠٠ نسمة منهم ٣٠٠٠ فارس و ٦٠٠٠ راجل. ولم يكن عددهم في منتصف هذا القرن الّا ٥٠,٠٠٠ نسمة فيهم ٢٥٠٠ فارس و ٥٠٠٠ راجل ومن هذا العدد الاخير ترى انهم وان قلّوا عددًا فانهم ارادوا ان يبقوا على عددهم السابق من جهة التجنُّد. وخضعت طائفة عظيمة منهم في بدء هذا القرن ولم يتمرَّد الّا يزيدية جبل سنجار اذ بقوا مستقلّين امّا تاريخ بعض الهجمات التي فاجأتهم فمنها هجمة ١٧٨١ اذ خرج عليهم امير من امراء راوندوز يُقال لهُ « بك راوندوز » وقتل منهم عددًا عديدًا في غارة شعواء غار بها عليهم بعساكر غير منتظمة من الأكراد فهجموا على قراهم وهزموهم الى نينوى بازاء الموصل والتجأوا الى اهل الموصل فلحقهم هذا البك الى المحلّ المسمّى: « تل عرموش » بقرب نينوى وذبح منهم خلقًا كثيرًا وسبى عددًا وفيرًا من اولادهم ونسائهم وبناتهم حتى انهم الى يومنا هذا كلما حفروا في تلّ عرموش وجدوا فيه بقايا حُلى نسائهم وهي نوع من الحلى لا يستعملها الّا اليزيديّة. وفي سنة ١٧٩١ بعث وزير بغداد سليمان باشا قائدًا اسمهُ لطف الله افندي ومعهُ جيش عرمرم فسيَّر في بلادهم النار والدمار حتى لم يبقَ في خارج جبل سنجار تابعًا واحدًا من تبعة يزيد. وفي سنة ١٨٠٢ عبر عليّ باشا وزير بغداد نهر دجلة من الموصل لمقاتلة اهل سنجار فأبلى بلاءً حسنًا واخضع جمًّا غفيرًا منهم وقتل منهم خلقًا لا يحصى عددهم. وفي سنة ١٨٠٩ شنَّ الغارة سليمان باشا وزير بغداد وهجم على اهل سنجار ودخل القرية المعروفة بالبلد فغنم وقتل وسبى وتحصَّن اهلها بثنية من ثنايا سنجار لا يمكن الوصول اليها الّا بشقّ النفس

وفي سنة ١٨٣٧ حارب اليزيدية رشيد باشا ومعهُ جماعات من الكُرد فذبح منهم خلقًا حتى جرت دماؤهم سيولًا في طُرُق القرى فانكسرت بذلك شوكتهم ولم يبقَ منهم سنة ١٨٤٥ الّا ٥٠,٠٠٠ نسمة. وفي سنة ١٨٩٢ أرسل الباب العالي الفريق

عمر باشا وكان رجلًا بعمر ٤٥ سنة بصفة « مأمور اصلاحات خطة العراق » فحارب اليزيدية حربًا عوانًا ونكّل بهم ايَّ تنكيل حتى اسلم منهم ١٥٠٠٠ يزيدي

ثم صارت امرة بغداد الى بكر باشا واستراح اليزيديّة وفي ايامهِ علا امر كوجك ميرزا. ولد هذا في كابان من قرى الشيخان وهي تبعد عن دير ربّان هرمز ثلاث ساعات. وكان يعيش في بيت عمّهِ قاسو الكوجك الاعظم وكان محبًّا للرئاسة. فوشى بعمّهِ الى الحكومة قائلًا: ان الكوجك الاعظم قاسو يدّعي أنهُ اله وانهُ لا يموت وان كلامهُ لا كذب فيهِ وليس لقضائهِ مردٌ ونحو ذلك. فقبضت عليهِ الحكومة وزجّتهُ في السجن فبقي فيهِ اياماً ثم نُفي الى بلادٍ بعيدة فلمّا اخذ بالسير الى منفاه وقطع مرحلتين تبعدان عن الموصل قُطع دابرهُ فقال اليزيديّة: « طار الكوجك » وبالكرديّة « كوجك فرى » والحقيقة أنهُ دُفن حيًّا في جبٍّ عميق في قريةٍ يُقال لها سيمير مطمورًا بالتراب. امّا الكوجك ميرزا ففرَّ هاربًا الى جبل سنجار ولمّا وصلهُ تنفّذ عن خراب الشيخان فصدّقهُ اهل سنجار واحلّوهُ منزلة الكوجك الاعظم ونفحوهُ بالعطايا والهدايا وبقي عندهم مكرّمًا الى مجيء عمر باشا. ولمّا حلّ ببلاد الشيخان ما حلّ من البلايا والرزايا تأكّدوا أنهُ مرسل من الله فطلبوا اليهِ ان يكون قائد الجنود في الجبل ومتوليًا امرهم واهدوهُ لهذه الغاية نصف اموالهم. ولمّا برح الباشا تلك البلاد حنَّ الى مسقط رأسهِ فجاءهُ بالقناطير المقنطرة من الاموال وبعد ان اجازتهُ الحكومة بالاقامة في قريتهِ شيّد فيها قصرًا دونهُ الخورنق والسدير. فعظم شأنهُ بين اصحابهِ حتى بلغ منهم اكرامهم اياهُ انهُ اذا قال لواحدٍ منهم « ارمِ بنفسك من العلو الفلاني » يفعل. وقد امتثل امرهُ هذا الشنيع كثيرون من اليزيديّة وهم يقولون اثناء سقوطهم « نموت حبًّا بالكوجك ». وبعضهم كانوا يُحشّون ويُقطّعون مقاسين اهول العذابات حبًّا بهِ. ومع هذا كلهِ فالكوجك يقول لهم: « انكم لا تفعلون شيئًا لاكرامي اذ نيّاتكم ليست صافية » فزادوا على ما تقدّم انهم حبسوا ارزاقهم وهداياهم وموظفاتهم ونذورهم عن الميرالاعظم واخذوا يؤدّونها للكوجك الاعظم فحسدهُ المير على ذلك واضمر لهُ العداوة حتى توصّل الى قتلهِ

امّا حالة اليزيديّة في يومنا هذا فانها في انحطاط دائم. فقد هُدمت المزارات والاشخاص واخذ اليوم ينعب فيها وضُبطت السناجق كلها الّا واحدًا وهو سنجق سنجار

فانهم يحافظون عليهِ كل المحافظة ولا يظهرونهُ الى الخارج. امَّا مقام الشيخ عادي فهو اليوم في يد الحكومة وفيهِ إمام من اهل سليمانيَّة وتحت يدهِ عشرة موالٍ (ملالي او منالي) ولهم رواتب من الحكومة. وقد سُئل اليزيدية مرارًا كثيرة: كيف اصبحتم في هذه الحاجة الشديدة؟ فيقولون: ان الطاووس الملك غضبان علينا لكثرة ذنوبنا وكبائرنا اذ بلغت منا القحة الى ان نبيع ونشتري ونتعاطى انواع الاشغال والحِرَف والمهن وهذا حرام عندنا الَّا الزراعة ورعاية الاغنام والمواشي وعمل الطنافس فانَّها محلَّلة. وهم اليوم لا يزالون يرتكبون هذه المنكرات بل ويرتكبون اعظم منها كاستحلالهم لاموال الذين ليسوا من دينهم

والقرى التي ليس فيها اليوم ديَّار ولا نافخ نار هي جميع قرى القايديَّة وسينا وشيخ حذري وشاريا وركافا وخَرْشنه وكَرْنخنه وكذلك القرى التي بين بوزان وباعذري. وقد اسلم هذه الايام الميرعلي بك والمير ميرزا بك ومعهما ثمانون من الاكابر ثم انَّ الاكراد يفتكون بهم كل يوم. وقد قتلوا منهم في حزيران الماضي مائة من الدوستكيين وجرحوا منهم كثيرًا. وفي هذه السنة تنصَّر منهم عدد غير يسير. هداهم الله الى ما بهِ نعم المصير. فانَّهُ على كلّ شيء قدير (تمت)

المحبة ودواعيها

نبذة ادبيَّة لحضرة القس عبد الاحد جرجي السرياني

اوَّل ما يفعل المرء عند ولوجهِ هذا العالم الغدَّار انَّهُ يستهلُّ بالبكاء كأنَّي بهِ يندب سوء حالهِ ويرثي نفسهُ لما يشعر بهِ من الألم. ولكن اذا لُفَّ بدنهُ بالقُمُط واُضجع في المهد اصاب جسمُهُ حرارةً وصار حليف الدعة والراحة فيألف تلك الحالة ويستطيبُها ويمسي في حاجة ماسَّة اليها لا يمكنهُ الاستغناء عنها. فيتأتَّى ممَّا تقدَّم انَّ اوَّل شعائر تظهر في الانسان هي النفور ممَّا يضادُّهُ والميل الى ما يلائمهُ. وهذا النفور وهذا الميل لا يبرحان ينميان فيهِ حتى يبلغ السنة السابعة من عمرهِ ويعرف ان يميّز الخير من الشرّ فيكون حينئذٍ ميلهُ الى الشرّ اكثر منهُ الى الخير وتوطنهُ على المنكرات فوق سعيهِ وراء الصالحات

ومن المعلوم انَّ الانسان لمَّا ابدعهُ الخالق كان يميل الى الخير غير أنَّهُ بعد ان فسدت طبيعتهُ بخطيئة آدم ابي الجنس البشريّ امسى ينظر الخير شرًّا فينحرف عنهُ والشرّ خيرًا فيأنس بهِ وهذا ما يؤيدهُ قول الرسول الى اهل رومية (٧: ١٦): ما اريدهُ من الخير لا اعملهُ بل ما لا اريدهُ من الشرّ ايَّاهُ اعمل

ولا حاجة بي ان اذكر هنا فريضة الوالدين بالمبادرة الى تأديب اولادهم منذ نعومة اظفارهم لئلّا يثبت فيهم ذلك الاعوجاج المشؤوم فيصير بهم الى نتائج وخيمة كما سيأتيك بيان ذلك

هذا وانَّ تلك الشمائل المضادَّة بعضها لبعض اعني بها الميل الى ما يُظنّ خيرًا والنفور ممَّا يُعدّ شرًّا تنشأ من مصدر واحد ألا وهو « المحبَّة » فهي التي تولّد فينا الميل الى ما يلائم طبعنا واخلاقنا وهي التي تعدل بنا عمَّا يضادُّنا ويخالفنا. فانها حقيقة ركن حياة الانسان ومحور جميع افكاره واقواله واعماله. كيف لا وعنها يقول القديس فرنسيس دي سال: « انَّ للمحبَّة المقام الاوّل فيما بين الاهواء النفسانيَّة وهي بمنزلة ملكة لجميع حركات القلب تحوّل كلّ شيء الى طبعها ». وعليهِ فانَّ افضل مديح يمكنك ان تُثني بهِ على قريبك قولك لهُ: « اني احبُّك ». فيتوم هذا الكلام الوجيز مقام افضل الاقوال واعذبها على قلب الانسان. ألا ترى مثلًا الطفل اذا اراد ان يعبّر عن عواطف قلبه حصرها كلَّها بلفظة « احبُّك ». وهي اللفظة التي يترنَّمها الصديق من صديقهِ والحبيب من محبوبهِ والاخ من اخيهِ والاب من ابنهِ والرئيس من مرؤوسهِ وقس على ذلك. كأنَّ من اكتسب محبَّة غيرهِ يكون قد ملك قلبهُ بل جميع كيانهِ وكأنَّ المحبَّة تنوب عن الانسان كلهِ بل هي الانسان نفسهُ

ولا عجب في قولي انَّ المحبَّة هي الانسان نفسهُ اذا ما اعتبرنا انَّ الانسان خُلق على صورة الله ومثالهِ والله محبَّة هو كما ورد في رسالة القديس يوحنا الاولى (٤: ١٦). غير انَّ هذه المحبَّة التي تكون في اوَّل الامر كجمرة نار تحت رماد لا تلبث ان تتَّقد فتضرم القلب بسعيرها وتطلب البروز الى الخارج. وبينما كان الانسان في صغره يحسب نفسهُ سعيدًا اذا احبَّهُ الناس وانعطفوا اليهِ اصبح اليوم لا يرضى بهذه السعادة بل يطمح ببصرهِ الى ما فوق ذلك ويرى ان قلبهُ يتأجج بنار لا يخمدها النزر القليل من الملذَّات والافراح

فحينئذٍ ينفع التأديب الذي تلقّنهُ المرء في صغره والاخلاق الحسنة التي طُبع عليها وتخلّق بها في بداءة امره لانَّ آخرتهُ تكون على حدّ ما يوجّه اليهِ محبّتهُ فتكون صالحة ان وجّه محبّتهُ نحو الصالحات وطالحةً ان وجّهها نحو الطالحات. وعليهِ ترى البعض يرمون بسهام حبّهم الى غرض الإكثار من المال فيجعلونهُ نصبهم من الدنيا وهم يصرفون اطراف الليل وساعات النهار في اتّخاذ الوسائط الملائمة لهذا الميل الشديد لا يثنيهم مانع ولا يوقفهم حدٌّ وربّما حرموا انفسهم من طيّبات الدنيا خوفاً من نقصان يلحق بهم ورغبةً في زيادة يخشون عليها. وكم من اناس بذلوا لهذا المحبوب ليس اشغالهم واتعابهم فقط بل صحّتهم بل حياتهم ذاتها كما تشهد لنا بذلك مجلة المشرق الغرّاء (٢: ٩٦) حيث تقول: لا حيّا الله الذهب ولا بيّاه وهو مع كثيّتهِ النزرة قد قتل الوف الوف من البشر ويقتلهم كل يوم بصفرتهِ الخدّاعة (اه). وقد اجاد في قولهِ ابن جبير الكتانيّ اذ وصف محبّي المال بالابيات الآتية:

عجبتُ للمرء في دنياهُ تُطمعهُ في العيش والأجلُ المحتوم يقمعُهُ
يمسي ويُصبح في عشواء يخبطها اعمى البصيرة والآمالُ تخدعهُ
يغترُّ بالدهر مسروراً بصحبتهِ وقد تيقّن انَّ الدهر يصرعهُ
ويجمع المال حرصاً لا يفارقهُ وقد درى انهُ للغير يجمعهُ
تراهُ يشفق من تضييع درهمهِ وليس يشفق من دين يضيّعهُ
واسوأُ الناس تدبيراً لعاقبةٍ من انفق العمر في ما ليس ينفعهُ

ومن الناس من يسوقهم حبُّهم الى اتباع الهوى واقتحام المنكرات فيجعلون سعادتهم وقصارى افراحهم في تلك الافعال المذمومة الحيوانيّة التي يُستحيا منها كأنهم لذلك خُلقوا وبها أُمروا. ومع علمهم بدناءة تلك الافراح وقبح نتائجها لا يبرحون منهمكين في إرواء غليلهم منها يأبون الفرار من فخاخها اذا سنحت لهم الفرصة بذلك كأنّهم اذا تركوها لا يبقى لهم نعيم في الدنيا. وعلّة هذه الاوهام الجهل الذي يوهمهم انَّ لا سعادة اعظم من سعادتهم ولا افراح غير افراحهم فيستغنون عن سواها وربّما اشتروها بافراح الآخرة التي هي وحدها حقّة باقية فبئس الحظ حظّهم اذ انهم بافعالهم تلك يحطّون شرف الانسان وعظمتهُ ولا يبقون لهم سوى الهيئة الخارجة. فلله درُّ من قال في مثل افراحهم الباطلة:

« الدنيا كالماء المالح كلّما ازداد صاحبهُ شربًا ازداد عطشًا . وكالكأس من العسل في اسفلهِ السم فللذائق منهُ حلاوة عاجلة وفي اسفلهِ الموت الذعاف . وكأحلام النائم التي تُفرحهُ في منامهِ فاذا استيقظ انقطع الفرح . وكالبرق الذي يضيء قليلًا ويذهب وشيكًا ويبقى راجيهِ في الظلام مقيمًا . وكدودة الابريسم التي لا يزداد الابريسم على نفسها لفًا الّا ازدادت من الخروج بعدًا كما قيل :

كدودٍ كدودِ القزّ ينسج دائمًا ويهلك غمًّا وسط ما هو ناسجهُ »

وقوم يحبّون العلم وفي اكتسابهِ يبذلون النفس والنفيس ويفرغون الجدّ والجهد فلا يجدون كتابًا الّا تصفّحوهُ ولا يطالعون بحثًا الّا وتبحّروا فيهِ ولا يصادفون عالمًا الّا وسألوهُ واستفتوهُ وأنسوا بمجالستهِ ومفاوضتهِ الا ترى باعة الكتب من مالهم يتموّلون وبتآليفهم يربحون تراهم منشغلي البال دائمًا متفرّغين للدرس والمطالعة ابدًا لا تلذّ لهم جلبات العالم وافراحه الموقّتة ولا تسرّهم معاشرة الانام ومخالطتهم الّا اذا كانوا من طبقتهم . فلا ريب ان هؤلاء اسعد جدًّا ممن تقدّم ذكرهم وهم حقيقون باكرام الناس وبالثناء عليهم بيد انهم ليسوا بكاملين ولم يصيبوا الغرض الاصليّ بل قرطسوا غرضًا قريبًا منهُ . ولذا يوجد من يفوقهم سعادة ومجدًا وهم الآتي ذكرهم

بقي علينا ان نذكر افضل الاقوام شرفًا واعظمهم غبطةً وسعادة ألا وهم الذين يحصرون محبّتهم كلها في الخالق الوهّاب ويوقفون ذواتهم لخدمتهِ جلّ جلالهُ شغفًا بجمالهِ وكمالاتهِ فيقبلون على النفس ويستكملون فضائلها رغبةً في استجلاب رضى الله عنهم والتقرّب منهُ تعالى لان من شأن المحبّة ان تحدو الحبيب على التشبُّه بمحبوبهِ والتخلّق باخلاقهِ فيشمّرون عن ساق الجدّ وينزلون الى ميدان الحرب . ولعمري ان حربهم لحربٌ عوان اذ انهم ذواتهم يحاربون فهم المحارِبون وهم المحارَبون وبعد ان تكون الدائرة تارةً لهم واخرى عليهم يظفرون اخيرًا بعدوّهم بل باعدائهم وينالون اكليل الغلبة والنصر ممن استمالهم اليهِ واخذت محبّتهُ بمجامع قلبهم ويقينًا اني لا اجد كلامًا اقولهُ في وصفهم احسن من قول بهاء الدين العامليّ واليكهُ بحرفهِ :

« فالمتقون فيها (اي في الدنيا) هم اهل الفضائل . منطقهم الصواب . وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع . غضّوا ابصارَهم عمّا حرّم الله عليهم ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم . . . عظم الخالقُ في انفسهم فصغر ما دونهُ في اعينهم . . . أرادتهم

الدنيا فلم يريدوها واسرتهم ففدوا انفسهم منها. . . اذا زُكّيَ احدهم خاف مما يُقال لهُ فيقول: انا اعلم بنفسي من غيري وربّي اعلم بنفسي مني اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني افضل مما يظنون واغفر لي بما لا يعلمون. . اذا استصعبت عليهم نفسهم فيما يكرهون لم يُعطوها سؤلها فيما تحبّ. قرّة عينهم فيما لا يزول وزهادتهم فيما لا يبقى. يمزجون الحلم بالعلم والقول بالعمل. تراهم قريباً املهم قليلاً زللهم. خاشعاً قلبهم قانعةً نفسهم متزودين أكلهم سهلاً امرهم حريزاً دينهم ميتة شهوتهم. كتومين غيظهم. في الزلازل وقورون. وفي المكاره صبورون. وفي الرخاء شكورون. لا يحيفون على من يبغضهم ولا يأثمون فيمن يحبّون. . . ان ضحكوا لم يعلوا صوتهم وان بُغي عليهم صبروا حتى يكون الله هو الذي ينتقم لهم. . . بعدهم عمّن تباعد عنهم زُهدٌ ونزاهة ودنوّهم ممن دنا منهم لينٌ ورحمة ليس تباعدهم بكبرٍ وعظمةٍ ولا دنوُّهم بمكرٍ وخديعةٍ » (اه).

فـتباً لأناس هذه حالتهم لعمري انهم اعظم الناس غبطةً وسعادةً وهم الذين اصابوا الغرض الاصليّ دون غيرهم وانفقوا العمر في ما ينفعهم

فاستنتج مما تقدَّم ايها القارئ اللبيب نتائج الحبّ في البليد والاديب. أن المحبّة واحدة بيد ان مفاعيلها في النفس مختلفة. فانها اشبه شيء بالنار تحرق التبن وتطهّر الذهب وترفع وتحطّ وتشرّف وتذلّ. فمن احسن ادارتها رفعتهُ الى سعادة واضعها ومبداها ومن اساء في استخدامها ذلّلتهُ ودهورتهُ في ظلمات الغيّ والاباطيل والله حسبنا ونعم الوكيل

الكلم اليونانية في اللغة العربية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

٣١ ومن المعرَّبات (القُطْرُب) قال المجد الفيروزاباديّ في القاموس: « القُطْرُب بالضمّ اللِّص والفأرةُ والذئب الأمعَط وذكر الغيلان كالقُطْرُوب. والجاهل والجبان والسفيه والمصروع ونوع من الماليخوليا وصغار الكلاب وصغار الجنّ وطائر ودُوَيبَّة لا تستريح نهارها سعياً » اه. قلتُ: والاصل في ذلك كلِّه معنى واحد لحرف واحدٍ. ثمّ فرَّعوا عليه معاني أُخر توسُّعاً. والقُطْرُب والقُطْرُوب شيء واحد اذ هما معرَّبا حرف

λυκάνθρωπος اليونانيّ. فقالوا فيه: «لُقُنطُرُب ولُقُنطُرُوب» ثمَّ حذفوا اللام ظنًّا منهم انها للتعريف فكان منها «قُنطُرُب او قُنطُرُوب». ثمَّ حذفوا النون امًّا لحمل الكلمة على الاوزان العربيَّة وامًّا اجتنابًا لساكنين متجاورين ثقيلين على اللفظ. وامَّا لانها من احرف الذلاقة التي تدخل الكلم او تسقط عنها بدون ان تحدث تغييرًا في المعنى. وحذف النون في حشو الالفاظ المعرَّبة كثير الوقوع في العربيَّة فانهم قالوا مثلًا: اوقيَّة والاصل اونقيَّة οὐγκία وفرسخ والاصل فَرْسَنْگ الفارسية وهو الرأي الاصحّ (راجع البرهان القاطع لفرهنك الشعوري ٣: ٢٥٩) او παρασάγγης اليونانيَّة وهو رأيٌ ضعيف لا يُعتدّ بهِ والنون ايضًا موجودة فيهِ. وامثال ذلك كثيرة لا حاجة الى الاكثار منها هنا على غير جَدوى. فصارت اللفظة بالصورة المعهودة اي «قُطرُب او قُطرُوب». ومعنى اللفظة اليونانيَّة الذئب الانسانيّ او المتأنّس او الانسان الذئبيّ. وكما ان الذئب مشهور باللصوصيَّة عند جميع الأقوام اطلقوا لفظ القطرب على اللِّص من باب المشابهة. امَّا من انَّ معاني القُطرُب: «الفأرة» فهذا من تصحيف القاموس ومن اخذ عنهُ والاصحّ ان يُقال: اللِّص الفارِهُ كما صحّحهُ ابن منظور وابن المكرَّم والشيخ المرتضي ومعنى «الفاره» الحاذق الماهر النشيط الخفيف. ومثلهُ قولك: اللِّص الأمعط وهو الذي يُشبِهُ الذئب الامعط بدهائهِ في السرقة ومشيهِ الذي لا يُسمع فيهِ جَرْس. واما القُطرُب بمعنى «الذئب الأمعط» فهو مأخوذ من معنى الكلمة اليونانية لانَّ الذئب الذي توهَّموا فيهِ انهُ يتلوَّن بلون الانسان لا يكون الَّا من دُهاة الذئاب. والأمعط من الذئاب الخبيث منها الذي قلَّ شعرهُ لخبثهِ ودهائهِ. وامَّا القُطرُب بمعنى «ذكر الغيلان» فهو من تأويلهم ايضًا لان العرب يطلقون اسم الغول على كل ما يتنقَّل من حالة الى حالة اخرى وعلى كل ما يتلوَّن ويتغيَّر ويتغوَّل. او على كل ما يغتال الانسان فيهلكهُ. (راجع ما قالهُ الدميري في مادَّة غول ٢: ١٦٧) ويظنون ان الغول يظهر بمظاهر مختلفة. ومنهُ قول كعب بن زهير بن ابي سلمى:

فما تدوم على حالٍ تكون بها كما تَلَوَّنُ في أثوابها الغُولُ

وامَّا انَّهم نسبوا الى القُطرُب الذكورة فهو امَّا لكون معنى اللفظة اليونانية يوجب ذلك. وامَّا لان ذكورة الغيلان أدهى من اناثها السعالي. ومن معاني القُطرُب: «الجاهل» وهو لان القُطرُب ايضًا نوعٌ من الماليخوليا تعرض للانسان بها يخرج عن الانسانيَّة

ويدخل حالةً تقرب من الحيوانيَّة. ومن كان كذلك فخليقٌ بهِ ان يُنعت بالجاهل. ومعنى القطرب ايضاً « الجبان » وذلك لان من اوصاف المُصاب بهذا الداء خوفهُ الناس وهربهُ منهم وضَرْبهُ في البراري والبوادي. ومعناهُ ايضاً: « السفيه » وذلك لان الجهل يجرُّ وراءهُ السفه. ومعناهُ ايضاً: « المَصْرُوع » لان الصرع ينتاب القطرب وكثيرًا ما يُرى مصروعاً في انحاء مختلفة. واماً القطرب بمعنى: « نوع من الماليخوليا » فهو معرَّب λυκανθρωπία بمعناهُ. واما القُطْرب بمعنى صغار الكلاب وصغار الجنّ فنظن انَّها معرَّبة عن الرومية: caterva canum et caterva dæmoniorum (١ ومعناها جماعة الكلاب وجماعة الجنّ فحذفوا القَيْد الاجنبيّ اي canum dæmoniorum لكثرة ورودهما مع لفظة caterva وابقوا المعنى على أصلهِ مع بعض زيمان. وكثيرًا ما يتصرَّف العرب هذا التصرف بالالفاظ المركَّبة او المضافة الى كلمةٍ آخرَةٍ سواء كان ذلك في الفاظ لغتهم او في الفاظ لغة غيرهم وباب حذف المُضاف وابقاء المُضاف اليهِ او بالعكس كثيرٌ لا يحتاج الى شواهد لاثباتهِ. واماً مثل فعلهم هذا بالألفاظ الاعجميَّة فليس نادرًا ايضاً اذ انهم تارةً يحذفون صدر الكلمة ويبقون عجزها وطورًا يتشبَّثون بعجزها ويخلُّون سبيل صدرها. فانهم قالوا مثلاً: « نشا » في « نشاستج » و« هزار » في « هزاردستان » و« مارستان » في « بيمارستان » و« بختج » في « ميبخته » وهلمَّ جرًّا. واماً تفسيرهم القُطْرب بمعنى طائر او دويبَّة لا تستريح نهارها سعياً » فالمراد بهما هذا ذكر الغيلان نفسهُ. لان آراء الاقدمين كانت متضاربة فيهِ. إذ كانوا يزعمون أنهُ نوع من الجنّ يتلوَّن تارةً بلون ذئب وطورًا بشكل دُويبَّة مهما كانت ومرة بهيئة طائر. وربَّما تحوَّل بصورة دولاب طيَّار لا يوقفهُ شيء: ولهذا زاد صاحب التاج على القاموس بعد قولهِ: « والقطرب طائر ودويبة » ما يأتي: « كانوا في الجاهليَّة يزعمون أنَّها ليس لها قرارٌ البتَّة » اه. وهذا ما يقولهُ الافرنج نفسهم عن القُطْرب (Voy. Bouillet, *art.* loup-garou) وغيرهُ من الذين تكلَّموا عن هذا الموضوع

---

١) ان اشتقاق قطرب من اللاتينيَّة caterva فيهِ تعسُّف ظاهر لان لفظة caterva وحدها تطلق على الجماعة ايَّةً كانت. ثمَّ انَّنا كرَّرنا مرارًا في المشرق انَّ الالفاظ العربيَّة المشتقَّة من اللاتينيَّة قليلة جدًّا واكثرها يدلُّ على اصطلاحات السياسة والحرب والموازين. وفي قول اللغويّ الفاضل بعد هذه الاسطر ١٠ يبيّن معنى القطرب جليًّا ه. ل

بتطويل. وهذه الأوهام التي ذكرناها مبثوثة الى يومنا هذا في أصقاع شتّى من بلاد فرنسة وألمانية. اما ما نقلهُ صاحب محيط المحيط عن الشريف الادريسي ان القطرب هي الدويبَّة التي تضيء في الليل كانها شعلة نار والعامَّة تسميها سراج الليل فلا يوافق نصَّ سائر اللغويين ولهذا لا يُعتدّ بهذا القول. لانهم لم يقولوا إنَّ القطرب دويبة تظهر في الليل فقط بل في النهار ايضاً. ثمَّ ان اليَرَاعة (وهو اسمها الفصيح بالعربية) يُعرف لها قرار بخلاف القُطرب اذ ليس لهُ قرار البتَّة

وامَّا سبب وجود معانٍ كثيرة في العربيَّة لحرفٍ واحدٍ اعجميّ ليس لهُ الَّا معنًى واحد في أصلهِ فهذا ناشئ عن كثرة اقاويل اللغويين وآرائهم المختلفة في تعريف المعنى الاصلي. وقد امتدَّ بنا النفَس في هذا الموضوع لان اشباه هذه اللفظة كثيرة في العربية فحسبنا بعد ذلك ان نقول: وهذا من نظائر مادَّة «قطرب». وحينئذٍ يُغيد التلميح اكثر من التصريح

بقي علينا ان نوضح مسئلة هذا محلُّها وهي هذه: ماكان يريد القدماء بالقُطرب بمعنى ذكر الغيلان. أفمن ذئبٍ يتشكَّل بالحقيقة بشكل انسان؟ قلنا هذا رأي قال بهِ غير العرب من الناس. وهو بهذا المعنى يُسمّيهِ الفرنسيس loup-garou وهو بالحقيقة ليس الَّا انساناً فاجأهُ مرض يدفعهُ الى العواء والنباح بحيث ان من يسمعهُ لا يشكّ في انهُ ذئب متأنّس او متغوّل. وبالاخصّ اذاكان الشاهد لا عهد لهُ بالمريض اذ القطرب لا قرار لهُ البتة بل ينتقل هائماً ناجياً من مكان الى مكان كما اسلفناه بُعيد هذا

هذا واصحاب المعجمات لا يدخلون كلمة اجنبيَّة في لسانهم الَّا ويفرغونها بقوالب متعدِّدة يسمّونها لغات. وربَّما كانت تصحيفاً. وهذا ما نراهُ في لفظة قُطرب فانهم قالوا فيها ايضاً: قُطروب تبعاً للاصل. وان أنكرهُ أئمَّة اللغويين. لانهم لا يفسّرون القطروب بمعاني القطرب كلها بل القُطروب عندهم السفيه وذكر الغيلان فقط. غير ان هذا من تحكُّماتهم. وامَّا تصحيفهم لهذه الكلمة فانهم قالوا فيها ايضاً: «القُرطب والقُرطوب» بتقديم الراء ولم ينصُّوا بتصحيفهما. قال صاحب التاج: «القرطب والقرطوب بالضمّ الذكر من السعالي. وقيل هم صغار الجنّ. وقيل القراطب صغار الكلاب واحدهم قرطب. كذا في لسان العرب». اه بحرفهِ. وقد اشتقُّوا من هذين الحرفين افعالاً منها: قَطْرَبَ وقَرطب وتقطرب

٣٢ (الزرنيخ) معرَّب عن اليونانيَّة ἀρσενικόν بتقديم الراء على الزاي وهذا التقديم عندهم كثير حتى في العربيَّة نفسها . فانهم قالوا مثلًا: « ناقة ضمزر وضمرز وضمارز وضمازر (راجع المزهر ١ : ٢٣٠) وليس فارسيًا ابدًا بل الفرس اخذوها من العرب ١)

٣٣ (الفالج) لمرض يحدث في احد شقَّي البدن طولًا فيُبطل احساسهُ وحركتهُ وهو تعريب ἡμιπληξία باسقاط الصدر وابقاء العجز ومعناهُ: « المُصاب او المضروب بنصفهِ او شقّهِ » وليس عربيًا كما توهمهُ جمهور اللغويين. لانهُ لو كان عربيًا فصيحًا مشتقًا من فلجهُ بمعنى شقَّهُ فلجين اي نصفين لكان حظ المعنى للنصف الواحد كحظّ معناهُ للنصف الآخر . والامر على خلاف ما يُظنُّ . اذ اللفظ يفيد معنًى آخر وهو ان الفالج يصيب الشقّ الواحد فيُملّهُ ويترك الشقّ الثاني سالمًا . وهذا معناهُ باليونانيَّة . ولعلّ لفظ فلَج مشتقٌ من الفالج وليس الفالج من فلج على حدّ اشتقاق قَرْطب وقطرَب وتقَطْرَب من القُرطب . فتنبَّه

٣٤ (البان) للشجر المعروب تعريب βάλανος بخلاف ما يدَّعيهِ جمهور لغويي العرب . وحُذفت اللام لانها من احرف الذلاقة ٢)

٣٥ (سُخنون) طائر مشهور بتوقُّد ذهنهِ وحدَّة ذكائهِ . تُشبهُ اخلاقهُ اخلاق الكلب ومن بعض هذه الاخلاق أنَّهُ يُبصبص بذنبهِ توددًا وتملُّقًا وتقرُّبًا من صاحبهِ وهو معرَّب σαίνουρος ومعناهُ: « المحرِّك ذنبهُ » وسبب التسمية ظاهر . قال الدميري: سَحنون بفتح السين وضمّها طائر حديد الذهن يكون بالمغرب يسمونهُ سُخنونًا لحدَّة ذهنهِ وذكائهِ اه . قلت ومن العراقيين من يسميهِ اليوم بالبرهان وان كان يُعرَف ايضًا بالسحنون وهو بالفرنسيَّة Agami وبلسان العِلم Psophia وقد ذكرهُ صاحب دائرة المعارف باسمهِ الفرنجيّ اي « أغامي » . امَّا من ان الحرف اليوناني ؛ قُلب حاء فنظنّ

---

١) ولعلّ الانسب ان يقال ان العرب بدلوا الهجاءة الاولى من ἀρσενικός بال التعريف كما نبَّه على ذلك حضرة الاب انستاس سابقًا . وهذا الاشتقاق ممَّا سبق اليهِ كثيرون من المستشرقين

٢) نظنّ ان هذا الاشتقاق غير الصحيح لانَّ معنى البان بالعربية يطلق على شجرة معلومة بخلاف βάλανος المراد بها تارةً السنديان وتارة النخلة ثمَّ ان حركة اللفظة اليونانية على اللهجة الاولى ممَّا يزيدنا ارتيابًا في هذا الاشتقاق . ومعلوم انّ اعتبار الحركة امرٌ مهمّ في الاشتقاق ه . ل

انهُ عُرِّب اوَّلًا بالهاء. كما قد وقع مثل ذلك في كثير من الالفاظ المعرَّبة عن اليونانيَّة. وهو مشهور. ثمَّ نقلت الهاء الى الحاء. ومثلهُ بالعربيَّة نفسها ما لا عدد لهُ. فقد قالوا مدَهَهُ ومدَحَهُ وكدَحهُ وكدَهَهُ وقحل الجلدُ وقهل والجلَح والجلَه (راجع المزهر ١ : ٢٢٤ و ٢٢٥). وقلب الراء في آخر الكلمة نونًا هو من تصحيفاتهم ايضًا وسترى بُعَيد هذا في العدد ٤٤ ما يشبههُ فأفرخ روعك

٣٦ً (البوَّة) بمعنى البومة تعريب βύας

٣٧ً (القِرطيل) بمعنى راس من الارض يتقدَّم في البحر تعريب ἀκρωτήριον وقد وردت هذه الكلمة مرارًا عديدة في كُتب علماء البلدان من العرب

٣٧ً (البوقير) ويجدر بنا اوَّلًا ان نورد هنا ما قالهُ الدميري عن هذا الطائر نقلًا عن القزويني ما حرفيَّتهُ: «انهُ طائر ابيض تجيء منهُ طائفة كلَّ سنةٍ في وقت معلوم الى جبل يقال لهُ جبل الطير بصعيد مصر... فتتعلَّق على هذا الجبل. وفيه كوَّة يأتي كلَّ واحد منها ويُدخل رأسهُ فيها ثم يخرجهُ ويلقي نفسهُ في النيل ثم يخرج ويذهب من حيث جاء ولم تزل هكذا حتى يدخل واحد منها رأسهُ فيها فيقبض عليهِ شيء من تلك الكوَّة فيضطرب ويبقى معلَّقًا حتى يتلف ثم يسقط بعد مدَّة. فاذا تعلَّق ذلك الطائر انصرف الباقون في الحال فلا يرى شيء من ذلك الطير في ذلك الجبل الى مثل ذلك الزمان من العام المقبل. اه. وهو نفس الطائر المعروف عند اللغويين بالبقَّرة. قال القاموس: «البقَّرة طائر يكون ابرق او أطحل او ابيض ج بقَّر» اه. قلتُ والبوقير معرَّب عن اليونانيَّة: βούκερος, (c'est le Bucérus ou Bucéros ou Calao) وهو المعروف عند علماء الحيوان باسم: «Calao ou Buceros Rhinoceros» ومعناهُ: «ذو القرن البقري» فقالوا في تعريبهِ «بوقير» تبعًا للاصل و«بَقَّرة» لشبه منقارهِ بقرن البقَّرة او على سبيل حذف المضاف وابقاء المضاف اليهِ. وهو في الحقيقة ابرق اي في ريشهِ لونان. وهما الطُّحلة والبياض. امَّا ما اوردهُ القزويني عن هذا الطائر فهو صحيح الَّا انهُ يحتاج الى بعض شرحٍ وتنقيح. فاعلم هداك الله واياك ان هذا الطائر يطير طوائف واذا عشَّش عمد الى الصدوع والشقوق. والفراخ في صغرها تشبه سائر العصافير الَّا انَّهُ مع الزمان يطول منقارها ويضخم. بل ينمو عند منبتهِ من اعلاهُ هنةٌ قرنيَّة عقفاء الى الوراء تمنعهُ من الخروج من عشِّهِ اذا كان ضيق الفوهة وقد نمت هذه الزائدة

نمَوًا كافيًا. والظاهر من كلام القزويني ان هذا الطائر يعشّش في جبل الطرّ في صدع منهُ ينطبق وصفهُ على ما وصفناهُ فيضيق حينئذٍ بهِ المخرج فيموت. وهذا النموّ الفاحش يوافق وقت عود الطير الى اوطانها كما تظعن سائر القواطع عند بلوغ الفراخ أشدَّها. فتظعن راجعةً الى من حيث جاءت فرأى القزويني في ذلك ما رأى. واوّلهُ ما اوّلهُ. فليراجع الى الحقيقة

٣٩ً (القنص) بمعنى الصيد معرَّب كلمة κυνηγέσιον ومعناهُ «الصيد بالكلاب» او κυνηγεσία وهو بمعناهُ. ثم حلَّ القيد عن اللفظ وأطلق معناهُ. ويشهد على ذلك ما عدا اصلهُ اليوناني قديم استعمالهِ عند العرب اذ انهم ذكروا كلمة القنص كل مرة ارادوا بها الصيد بالكلاب. راجع المستطرف للابشيهي (الجزء الاول الصفحة ١٢٢ والسطر ١٩) ترَ انهُ خصَّص لفظة القنّاص للصيّاد بالكلاب. فاحفظهُ

٤٠ً (عَسْطوس وعَسَّطوس) تعريب ἀσκητής وقد عرَّفهُ العرب تعريفات غريبة ومعناهُ الحقيقي الزاهد او القانت

٤١ً (ثُوعة) شجرة معروفة تعريب θυία بمعناها (١

٤٢ً (صَاصل وصاصَلي وصَوصَلاء وصاصَلاء) كلها معربة عن كلمة واحدة وهي: σέσελι ولم يصرِّح باعجميّتها احدٌ

٤٣ً (سوس) تعريب σής ووهو نوع من الدود. ونقل الياء الى الواو امرٌ مشهور لا ينكرهُ اثنان

٤٤ً (القَسطل والقَسْطال والقَسْطلان بفتحهنَّ والقُسطول كزنبور زاد الازهري وكسطل وكسطن وقسطان وكسطان كل ذلك بمعنى الغبار الساطع والقصطل بالصاد لغة فيهِ... وقسطلانيَّة (التاج في ق س ط ل) والقِرصطال (من التاج). فهذه احدى عشر لغةً معرَّبةٍ عن لفظةٍ واحدة يونانية وهي κονιστήριον وبالرومية Conisterium ومعناها على ما قالهُ الثعالبي في باب الغبار «غبار الحرب» وهو اصحّ ممَّا قالهُ غيرهُ من اللغويين لان معنى الكلمة اليونانية هو «محلّ للرياضة الجسديَّة يفرك فيهِ المتصارعون

---

١) قد جرى العرب في تعريب «عسطوس وثوعة وصاصل وقسطل» عن اليونانية على موجب القاعدة التي اثبتناها في المشرق (١ : ٨٢٤) حيث قلنا ان الحروف اليونانية اللينة يوافقها في العربيَّة حروف شديدة كحرفي α , υ الموافقين لحرف ع وكحرف τ الموافقين للطاء الخ م. ل

اجسامهم بالغبار. او بعبارةٍ اخرى هو «غبـار المتصارعين» ففسَّرهُ الثعالبي: «غبار الحرب» ولا يخفى على الناقد ما في ذلك من مقاربة المعنى. والكلمة اليونانيَّة مشتقَّة من κόνις وهو الغبار. ثم ان هذه اللغات المختلفة تطلعك اولًا على ان كثرة اللغات هي شيء كالدليل يرشدك الى اعجميَّة اللفظة. وثانيًا على ان العرب ربَّما عرَّبوا اللفظـة الواحدة بصورٍ عديدة تقرب من الاصل قليلًا او كثيرًا حسب رواية ودراية الراوي. ثالثًا على ان العرب لا يؤوّلون الكلمة تأويلًا مدققًا فيه بل يحتاج الى تنقيح واصلاح. رابعًا على انهم يتصرَّفون بالكلمة الواحدة كما يشاؤون فيزيدون عليها وينقِّصون منهـا معنًى ومبنًى بدون ان يكترثوا لذلك ولا ينوصوا. وهذا ما يذكّرني ما جاء في التاج في مادة كبريت اذ قال ما حرفـهُ: «فسَّروهُ (الكبريت) بالذهب الاحمر. قال ابن الاعرابي: ظنَّ رؤبة ان الكبريت ذهب. قال شيخنـا: وخطئ فيهِ لان العرب القدماء يخطئون في المعاني دون الالفاظ» اه. فهل من دليل اوضح من هذا لديك على صحَّة ما نقولهُ. ولهذا فقد عجبنا من كلام اللغوي البارع الاب لامنس في حاشيتهِ على كلمة: (٦ّ العَرَق) اذ قال ان معنـاهُ في اليوناني «السطر من الاشجار» نعم ان معناهُ هذا في الاصل لكن العرب حوَّلوا التقييد. ومثل هذا كثير حتى في الكلم التي ذكر اعجميَّتها في كتابهِ «الفروق». فليراجع بعضًا ممَّا فيهِ (ستأتي البقيَّة)

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر شهاب الدين ابن زين الدين صالح

وهو الثالث من اولاد زين الدين كان سيِّدًا من سادات الناس ذا عقل وعلم ودين جمع محاسن كثيرة منها الكتابة الجيّدة والبلاغة ونظم الشعر والذكاء وحسن النظر في الامور ومحبَّة اهل العلم واشتغل في علم النحو ومعرفة الكواكب على شيخ كان عندهُ. وكان يعمل النشَّاب المليح وتعلَّق بصنعة الصياغة وربَّما كان اقتبس ذلك من خالهِ عزّ الدين جواد ابن علَم الدين الرمطوني (٩٩ م) فسار شهاب الدين المذكور مع اهل زمانهِ احسن سيرة فمالت اليهِ القلوب وذُكر بكل جميل. وكان والدهُ كثير الاركان اليهِ لعقلهِ

وكفاوته وحسن ترتيبه. وكان مع هذا مشكورًا عند كل من يعرفهُ

وسمعتُ أنهُ حضر عند بيدمر نائب الشام يومًا والمجلس حافل بالامراء والاعيان فشكرهُ بيدمر بقوله: « يكتب مليحًا ويرمي نشّابًا مليحًا وهو رجل جيّد السلاح »

وسمعتُ ان شهاب الدين المذكور كان يعمل طوامير وسبكات ويقدّمها لبيدمر فيفرّقها بيدمر على مماليكهِ ومن حضر عندهُ. وكان شهاب الدين مرّةً بدمشق فرسم لهُ بيدمر ان يركب خيل البريد ويتوجّه الى قرية عين زحلتا من شوف صيداء ليكشف عمّا فيها من اشجار التوت النافع لعمل النشّاب فلم يجدهُ موافقًا. وربّما كان لشهاب الدين تطلّع الى التوفرة على البلاد من الصداع (كذا) بقطع الخشب ونقلهِ والكلفة عليه

وبلغني انّ اهل الشوف اجتهدوا من ذلك الوقت على قطع شجر التوت وتعطيل نشوئهِ واستئصاله لئلا يصدعهم احد من جهتهِ. فدثر ولم ينشأ منهُ بعد ذلك الّا القليل. وقد اشتهر شهاب الدين بالمناقب الحميدة والصفات الجميلة وكان يتواضع مع الناس ويصغّر نفسهُ من علوّ مجدهِ وما كان يتكبّر على شغل باشر بعملهِ

مولدهُ ليلة الاربعاء الثامن والعشرين من شهر ذي الحجّة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة (١٣٣١ م) ووفاتهُ رحمهُ الله تعالى الرابعة من نهار السبت الحادي عشر من شهر ربيع الاول سنة ثلث وثمانين وسبعمائة (١٣٨١ م). ودُفن (٧٩٩) في التربة وقد اجتمع في عزائهِ خلقٌ كثير لم يعهد في عزاء مثلهِ حتى ضاق بهم الفضاء حول التربة وما بَعُد عنها. وحضر اهل جزّين في يوم عزائهِ قبل دفنهِ. وهذا يدلُّ على انّهم أخّروا دفنه الى ثاني يوم وفاتهِ والله اعلم .

تزوّج زمرّد بنت خالهِ عزّ الدين جواد ابن علم الدين الرمطوني وهي امُّ ولديهِ علم الدين سليمان وشرف الدين عيسى. ثم توفيت وتزوّج بعدها نجيمة بنت عمّتهِ وابوها عماد الدين موسى ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين ابن عليّ العراموني وهي امّ ولدهِ سيف الدين ابي بكر واختهُ لؤلؤة. ثمّ توفيت وتزوّج بعدها سارة بنت عمّهِ تقيّ الدين ابراهيم ابن ناصر الدين الحسين وهي امّ ولدهِ عبد الله الذي توفّي صغيرًا بعد ابيه بمدّة. وهي ايضًا امّ بنتيهِ عُميمة امرأة ناصر الدين محمّد ابن علاء الدين عليّ ابن شمس الدين محمّد العراموني واختها رقمة امرأة علم الدين سليمان ابن بدر الدين محمد

ابن صلاح الدين يوسف ابن سعد الدين خضر . واما جهات اقطاعه فهو نصف اقطاع ابيه شركةً اخيه سيف الدين يحيى

ذكر اخيه الامير بدر الدين موسى ابن زين الدين صالح

وهو الرابع من ولد زين الدين وكان كريمًا جوادًا ذا مروّة وافرة وكان لهُ سطوة على المتمردين ويحبّ قمع المفسدين وردع الطغاة عن اغراضهم ممّن تصل يدهُ اليهم. وتعلّق بصناعة التجارة وعمل النشّاب وبعض صياغة مثل طبع الفضّة على نسج عزّ الدين جواد واجرانها مهنا (١٥٥)

ولم يكن بيده اقطاع وكان اخوهُ سيف الدين يحيى يعطيه من اقطاعه شيئاً يستعين به على حاله مع قليل املاك. وتزوّج بنت عمّته ووالدها فخر الدين عبد الحميد ابن شهاب الدين احمد ابن حجّي وهي امّ بنته زمرّد امرأة بدر الدين موسى ابن ظهير الدين عليّ بن جواد ابن علم الدين الرمطوني. ذكروا انّ بدر الدين المذكور تزوّجها على غير رضى ابيه زين الدين ولم يقبل ابوهُ ان يحضر عرسهُ

مولده بُكرة نهار الجمعة التاسع عشر من شهر ربيع الاوّل سنة اربعين وسبعمائة (١٣٣٩ م) ووفاتهُ رحمه (١

ومن بعد بدر الدين موسى ولد اخوهُ عيسى ولم يكن ان نجمل لهُ اسمًا لكونه توفّي طفلًا صغيرًا جدًا ولم يُعرَف. كان مولدهُ العصر من نهار الاربعاء الحادي عشر من شهر رمضان سنة احدى واربعين وسبعمائة (١٣٤٠ م) ورثاهُ جدّهُ ناصر الدين الحسين فقال من قصيدة :

ولمّا نعى الناعي لعيسى تتابعت   مدامعُ عيني لا اطيق لها ردّا
وقد كنتُ ارجوهُ وآمـلُ انّهُ   يصير جمالًا في البنين اذا اشتدّا
فعاجلهُ صرف القضا قبل فطمه   صغيرًا ولم ينطق ولا فارق المهدا
سقت وجهه الميمون رحمةُ ربّه   لقد كان وجهًا ابيضًا ليس مسودّا

(١٥٥) ذكر اخيهم الامير سيف الدين يحيى ابن زين الدين صالح

هو اصغر اخوته سنًّا فلم يُرزق ابوهُ بعدهُ. وكان المذكور زائد الحسن حسن الترتيب في مشيه وامرته سلك في ذلك احسن طريق واشتهر بالرئاسة بين الامراء.

١) كذا في الاصل بدون ذكر السنة

والاكابر فعد فيهم من الاعيان. شاد البيت فاجمل فيه الرئاسة وانقادت اليه اقاربهُ وقومهُ. وحجَّ الى البيت الحرام وحجَّ معهُ ولدهُ فخر الدين عثمان (١ والحاج احمد بن عيسى استاداره والحاج حسين من بيصور ويُعرف بابي جميل وعلي بن جديس بيطارهُ والحاج محمد بن اللبّان من بيروت وناصر الدين ابن معن واخوهُ الحاج احمد بن معن والحاج حسن ولد ناصر الدين ابن معن وتكلّف على سفر الحجاز كلفةً كبيرة وهدايا للك الامراء نائب الشام وللامراء اصحابه ولغيرهم

وعمَّر القاعة المعروفة به باعبيه ورخَّمها وزخرفها واجرى اليها الماء. وأضاف الى القناة الجارية الى حارة اعبيه زيادةً كبيرة تسمَّى بالعين البـاردة فحسَّن حال القناة المذكورة وزاد ماءها ثمَّ جدَّد عمارة ايوان اعبيه. ثمَّ عمَّر ايوان بيروت وقصـد ترخيمهُ وزخرفتهُ فلم تكـل زخرفتهُ. واجرى الماء الى حارة بيروت المجاورة للبحر والمعروفة به. وتابعُ على العمائر كُلَف كثيرة وتحمَّل الديون التي تخلّفت بعدهُ

وامّا جهات اقطاعه فهو نصف اقطاع ابيه قسمة اقطاع اخيه شهاب الدين احمد وكُتب لهما منشور واحد بنزول والدهما (١٥١[٢]) حسب ما ذكرنا في ترجمة والدهما. وتاريخ المنشور المذكور اليوم السادس من جمادى الآخرة سنة اربع واربعين وسبعمائة (١٣٤٣ م) واستجدَّ لولده عثمان امرة خمسة (٢ وجهاتهـا شمقاب واكتور وحصور وبعقلـين ومزرعة الديشونيَّة ومزرعة البوشريَّة ومزرعة الدكوانة ومزرعة كفريا(؟) ومزرعة كفرتانيث. وكان قصد ان يشرك في علّم الدين سليمان ابن اخيه شهاب الدين احمد فتوفّي علم الدين سليمان فاستقرَّ لفخر الدين عثمان وهو صغير. وكان ابوهُ يستعين بهذا الاقطاع على حاله مع مستأجرات زيتون وطباخة صابون ولوشية زراعة بجديدة بيروت واملاك وغيرها

وسمعتُ انَّهُ كان يعمل في بعض السنين اربعين رطل حرير من ملكه وتارةً يكون ازيد من ذلك. وكان كثير الخرج ويوسّع في اموره فكثرت عليه الديون مع كلفة الحجاز ومغرم العمائر

١) جاء في حاشية الكتاب ما حرفهُ: « اخبرني ابو عمر الحكيم قال كنت مع فخر الدين عثمان لمَّا توجَّه ابوهُ لهدي الهدايا للك الامراء. وكان الطشتا الجوباتي وذلك لما حضروا من الحجاز النوبة المذكورة وكانت الهديَّة على ثلاثة اطباق كبار فتشكَّر ملك الامراء واحسن الكلام

٢) جاء في حاشية الكتاب: « الخمسة المذكورة اخذها من صلاح الدين من ذرّيّة بني ابي الجيش »

ذكر بعض حوادث جرت في ايامه

قد تقدّم ذكر توجّهه الى مصر صحبة سعد الدين خضر ابن عزّ الدين الحسين ابن سعد الدين في سنة فتح الفرنج للاسكندريّة وتمسير بيدمر للشواني في بيروت عند ما قصد تركان كروان ما قصده كما ذكرنا. وقد تقدّم ايضًا ذكر حضور تسيرة الجنويّة في ذكر اخبار بيروت وكان حضورها بيروت في العشر الآخر من جمادى الآخرة سنة اربع وثمانين وسبعمائة (١٣٨٢م). وذكرنا ان العسكر الشامي تقهقر من مدافع الفرنج ونشّاب جروخهم واستتر (١٥١^٢) بالحيطان وان الفرنج ترلوا من مراكبهم الى البرّ وطلع منهم شرذمة الى جوانب القلعة القديمة لنصب سنجق في شرفة عالية اشارةً الى انّ الفرنج ملكوا البرّ ولتقوية قلوب من ترل منهم الى البرّ لترول باقيهم من الشواني. فلمّا رأى الامير يحيى (١ ذلك هجم بمن معهُ من اصحاب النخوات ورمى بنفسه على الذين معهم السنجق فطعنوهُ برماحهم حتى برك به الفرس ثمّ نهض قائمًا واقتحمهم حتى وصل الى حامل السنجق فرماهُ ووقع السنجق. فلمّا نظر الفرنج الذين ترلوا الى البرّ انّ السنجق قد وقع لم يسعهم غير الرجوع الى مراكبهم. وركبت المسلمون اقفيتهم فازدحموا على الصقائل حتى انقلب بهم بعضها فوقع منهم جماعة كثيرة في البحر وكانوا متقلين باللبوس فغرقوا ولم يقدروا على السباحة فعند ذلك نسبوا كسرة الفرنج الى الامير يحيى وعُرفت به. وقد قال لي ملّي مقدّم جبّ حنين من البقاع بعد ذلك: «أمّا وابوك في الجنّة لأني كنتُ الى جانبه يوم وقعة الفرنج ببيروت فلمّا رمى الذي كان معهُ السنجق انا الذي قطعتُ رأسهُ». وكان ملّي يفتخر بذلك بين الناس. ثمّ بعد هزيمة الفرنج وتروّلهم في الشواني وصل نائب الشام بيدمر الى بيروت وقد فات الامر. وكان بيدمر قد وغر صدرهُ على الامير يحيى فغلّظ لهُ في الكلام. ومن كلامه: «انت مباطن للفرنج على المسلمين». وكانوا قد شكروا فرس يحيى لبيدمر فاضطرّ الى ان يقدّمهُ لهُ مع فرس آخر (١٥٢^٣). وعاب الناس على بيدمر اخذهُ لفرس يحيى وقالوا: «كان الواجب على بيدمر ان يعطيهُ ويُنعم عليه». وكان هذا الفرس من عند شهاب الدين الكردي صاحب درك نهر ابراهيم قد غالى بثمنه عند بيعه

وامّا موجب انقلاب بيدمر على الوالد بعد ما كان من جهته فهو لانّ بيدمر كان

١) الامير يحيى هو ابو المؤلف.

قد عثر في بيروت مركبًا ليسافر ثمَّ يعود الى بيروت. فلمَّا كان بيدمر مشغولًا بدمياط حضر المركب الى بيروت فاحتاج الى مصروف فتوقَّف الوالد في اخراج ذلك فسرَّها بيدمر في خاطرهِ. وكان ابو بكر خليـل بن ملَّى من صيداء قد توصَّل عند بيدمر وكان شديد البغض للوالد كثير الحسد لهُ وكان يذكرهُ عنـد بيدمر بما يُغضب بيدمر عليهِ. فلمَّا عاد بيدمر الى نيـابة الشام جعل ابن ملَّى المذكور خوندارًا صغيرًا واضمر الحقد على الوالد. فمن ذلك لمَّا تحرَّكت الشيعة في بيروت وجرى لذلك حركة رديئة اغتنم بيدمر الفرصة فطلب الوالد واهانهُ ومنها أنهُ اخرج اقطاعهُ مرَّتين فاعطاهُ مرَّةً لشخص يُعرف بابن صـاري والاخرى ليحيي ابن العفيف. ولم ادرِ أيهما الاولى من الثانية

اللحية والشعر في الكنيسة الشرقيَّة

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

ليس لِلّحية من ذكر في اسفار العهد الجديد وأنَّما نعلم من تاريخ شعب الله انَّ اليهود كانوا يربُّون لحاهم. يشهد بذلك سفر الملوك الثـاني (١٠ : ١—٥) وسفر عزرا (٩ : ٣) الى غير ذلك من الآيات المشهورة. ومن ثمَّ يصحّ القول ان المسيح لذكرهِ المجد والحواريين بعدهُ اطلقوا لحاهم جريًا على عادة بلادهم

وان فحصنا الآثار القديمة كالتصاوير والنقوش التي تمثِّل هيئة الرب وشخصهُ الكريم وجدنا ان بين المصوّرين الاقدمين اختلافًا فمنهم من يرسم هيئة المخلص بلحية مسترسلة ومنهم من يمثّلهُ بلا لحية. الَّا ان في هذا التباين رمزًا كما بيَّن ذلك اصحاب العاديَّات الكنسيَّة وذلك انَّ المصوّر كان يحلّي وجههُ بلحيـةٍ اذا ما اراد الاشارة الى طبيعتهِ الالهيَّة وكان بعكس ذلك يمثّلهُ بلا لحيـةٍ ان اراد وصف طبيعتهِ البشريَّة وقد أيد العلَّامة كراوس (Kraus) هذا الرأي في دائرة العلوم المسيحيَّة القديمة (١ وذكر

(١ راجع Encyklop. d. Christ. Alterthümer II, 24.

نحو ٤٠٠ صورة قديمة تبيّن هذا الامر اجلى بيان . مثال ذلك انك ترى الرب أمرد عند غسل ارجل الحواريين وعند وقوفهِ امام بيلاطس وهلمَّ جرًّا وهو ملتحٍ في صور القيامة والصعود (١

امّا رُسل الرب فان الصور القديمة تجعلهم كلهم ذوي لحى الّا يوحنا الحبيب فانَّ المصوّرين يمثّلونهُ امرد غايتهم بذلك ان يشيروا الى بتوليتهِ لا لخلوّهِ من اللحية

ثمَّ تبع الرسلَ خلفاؤهم فساروا على عادتهم من حيث الالتحاء بيد ان الامر لم يعمّ الكنيسة جماء وذلك لان قسمًا من الاساقفة كانوا في بدء النصرانية من الرومان واليونان فلا غرو انهم حذوا حذوَ معاصريهم واهل جلدتهم في الالتحاء كما في باقي الامور وكان من عادة الرومان واليونان حلاقة اللحى اللهمَّ الّا في مواطن الحزن كما يفعل اليوم السودانيون في حدادهم

وان تصفَّحنا آثار القرن الثالث وجدنا ان اطلاق اللحية في كنائس المشرق كان اضحى عادةً ألفها ارباب الدين الّا قليل منهم . يشهد بذلك كتاب الرسوم الرسوليَّة الذي كُتب في ذلك العهد (راجع مجموع مين ١ : ٥٦٥) وكليمنس الاسكندريّ (٨ : ٥٨٠) ثمَّ القديس ابيفانيوس (٤٣ : ٧٦٨) ولعلَّ الشرقيين لم يبطلوا مذ ذلك الحين عادة الالتحاء الى يومنا . امَّا كنائس الغرب فكانت تختلف عوائدها في ذلك فيلتحي البعض من زعمائها في امكنةٍ ويحتلق غيرهم لحاهم في امكنة اخرى وربَّما كانت الكنيسة الواحدة تبدل عادتها من هذا القبيل حينًا بعد حين

ويُستفاد من تاريخ القرون المتأخرة ان اكثر الكهنة اللاتينيين كانوا ذوي لحىً في القرن السادس عشر الى اواسط القرن السابع عشر . وممَّا شاهدتهُ بالعيان في المكتبة الشهيرة المعروفة بالروسيانا (Rossiana) في ثمَّة صور قديمة تمثّل الاحبار الرومانيين رُسمت في القرن الخامس عشر فترى بينهم كثيرين محتلقين باللحى . وجرى خلفاؤهم على ذلك الى القرن السابق لعصرنا هذا

٢

هذا ما يختصّ باللحى امّا إعفاء شعر الرأس او قصّهُ فلنا في ذلك شواهد نثبتها هنا :

---

١) راجع ايضًا - Le Blant : *Sarcophoges chrétiens d'Arles, p. 7 et 19* - *Sarcoph. de la Gaule* 117, 160.

اعلم انَّ الآثار القديمة التي وردت فيها صورة الرب تمثّل المسيح تارةً بشعر مسترسل وتارةً بشعر قصير (١ ولعلَّ الذين رسموا صورة الفادي على الهيئة الاولى ارادوا بذلك الاشارة الى انقطاعه الى الامور الالهيَّة شأن النذراء في بني اسرائيل. ومن المعلوم انَّ النذير لم تكن الموسى تمسّ شعر رأسه طول ايام نذارته

هذا واوَّل من ذكر الشعر في العهد الجديد الرسول المصطفى في رسالته الاولى الى اهل قورنتس (١١: ١٤) حيث يقول: « انَّ الرجل اذا كان يربّي شعر رأسه فهو عار لهُ » وزاد على قوله هذا: « انَّ الطبيعة نفسها تعلّم ذلك »

فيؤخذ من كلام الرسول انَّ الرجال المؤمنين مطلقًا في بدء الكنيسة كانت عادتهم قصّ شعورهم لا حلقها لانَّ ظاهر كلامه يصحُّ في تربية الشعر فقط

وينطبق قول الرسول على نقوش العاديات المسيحيَّة فانَّ صور الرسل القديمة في دياميس رومة وغيرها من الاماكن تمثّلهم بشعر قصير. وقد جاء في رسالة كتبها البابا أنيقيت سنة ١٦٧ للمسيح: « انَّهُ لا يجوز للاكليريكين ان يربُّوا شعورهم وفقًا لقول الرسول ». ومن اقوال القديس هيرونيموس في شرحهِ على نبوَّة حزقيال (ك ١٣ ص ٤٢) « انَّهُ ينبغي على من خصَّصوا نفوسهم لخدمة الرب أَلَّا يحلقوا رؤُوسهم حلقًا تامًّا كما هو شأن كهنة الاصنام ولا يدعوا شعورهم مسترسلة كالمتخنّثين او الجنود والبرابرة. والاليق بالكاهن ان يكون شعره قصيرًا ساترًا الجلدة رأسه » (in tantum capillos demittere ut operta sit cutis) . وقال في محلّ آخر: « انَّ قصر الشعر يميّز الكاهن من العامَّة »

ولمَّا شاع في بلاد ما بين النهرين عن بعض الرهبان انَّهم اتخذوا يُعفون شعر رؤُوسهم ولحى ذقونهم اخذ آباء الكنيسة يبكّتونهم على هذا الفعل منهم القديس ابيفانيوس (في كتاب الهرطقات ف ٨٠ ع ٢) والقديس هيرونيموس في رسالته الحادية والعشرين الى اوستوخيوم (ف ١٤). وكان القديس اوغسطينوس يسخر من اصحاب هذه العادة فيدعوهم « اصحاب الجمم والشعور الكثَّة » (criniti fratres)

وقد اخبر المؤرخ سقراط انَّ يليانس الجاحد لمَّا اراد مراءً ان يدخل في عداد

١) راجع الصفحة ١٣٦ و ١٣٧ من كتاب نواويس النصارى في غالية (Sarcophages chr. de la Gaule)

الاكليركيين ويقتبل رتبة القارئ حتم عليهِ الاسقف ان يقص شعره قصًا تامًا حتى كاد ان يُرى من خلالهِ جلد رأسه

وروى اثناغوريوس الكاتب متمّم تاريخ سقراط عن بعض المترشحين الى درجة الكهنوت انّهم لم يرقوا الى هذه الرتبة الّا بعد قصّ شعورهم. وقد وثّب القديس غريغوريوس مكسيموس الاسقف الدخيل على انهُ كان يمشي في الاسواق وعلى رأسه جمّة شعر طويل

فكلّ هذه الشواهد تبيّن صريحًا انّ ارباب الكهنوت في المشرق لم يربّوا شعورهم في القرون الاولى. وقد بقيت هذه العادة الى القرن السابع والثامن والدليل على ذلك شكايةٌ وردت على احد الكهنة في مجمع القسطنطينيّة سنة ٦٤١ مُحصّيًا « انهُ كان يربّي شعر رأسهِ كالعامّة »

وممّا اثبتهُ الواقدي في كتاب فتوح الشام انّ الخليفة ابا بكر الصديق اوصى سريّة المسلمين الّا يتعرّضوا لرهبان النصارى ووصفهم بأنّهم « حلقوا اوساط رؤوسهم »

فثبت اذن ممّا تقدّم ان قصر شعر الرأس كان عادةً ألفها الاكليريكيون الشرقيّون ليمتازوا بها عن القوم والاحرى ان يقال ان العامّة انفسهم كثيرًا ما كانوا يأنفون الشعور المسترسلة ويعتبرون ذلك من اعمال المتخنّثين او الشامخين بانفهم (١

امّا حلق قمّة الرأس الّا جوانبهُ على هيئة اكليل كما يفعل اليوم الرهبان الفرنسيسيّون والدومينيكيّون فتلك عادة جرت اوّلًا بين قدماء النسّاك منذ القرن الرابع تعبّدًا ثمّ اتّخذها منهم الرهبان الى ان شاع استعمالها بعدئذٍ بين الاكليروس العلماني. الّا انّ هؤلاء العلمانيين اقتصروا بعد ذلك على الاكليل الصغير كما هو جارٍ عندهم اليوم. ولعلّ الكهنة الموارنة اخذوا عن المرسلين اللاتين عادة حلق شعرهم على شبه طريقة الرهبان ولا نظنّ انّهم ألفوها قبل القرن الرابع عشر (٢

وفي الختام يحسن بنا القول انّ اطلاق اللحية وإعفاء الشعر عادات اختلفت مع اختلاف الزمان والمكان في الكنائس الغربيّة والشرقيّة وليس لها مع الدين علاقة (٣

---

١) انّ لفظة κομάω في اليونانيّة تدلّ على تربية الشعر والمجرفة معًا وهكذا استعملها مرارًا القديس يوحنا الذهبي الفم. وهذا دليل آخر على انّ معاصريهِ لم يألفوا هذه العادة

٢) راجع منارة الاقداس للدويهي (١ : ٢٦٧)   ٣) وممّا يستحق الذكر انّ القيصر

ومن ثمَّ فايتّبع كلٌّ العادة الجارية في كنيستهِ دون ان يقبّح عادة غيره. وقصارى بغية امنا الكنيسة ان نتشبَّث بتعاليم الايمان وندافع عنها مدافعة الابطال ونعيش كالمؤمنين الاوّلين قلباً واحداً ونفساً واحدةً (١

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل رينو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثامن

في مضايق شيلكوت

ثم دنت ساعة السفر وكان المهاجر قد كلَّ من التعب وتورَّمت قدماهُ فلم يَعُد يستطيع ان يتقدَّم خطوةً واحدة وجعل الهنود يتغضَّبون ويتذمَّرون ويتهدَّدون المهاجر المسكين بمغادرتهِ وحدهُ في تلك المجاهل بعد سلبه كل ما معهُ من فضَّة

وكان في تلك الساعة ان اكفهرَّ الجوّ بالغيوم ودمدم الرعد ولمع البرق وثارت الزوابع فجعل المهاجر يمشي من حلاوة الروح مع ادلّائهِ وجميعهم يغوصون حتى الركَب في الثلج الحديث السقوط. وكانت الصواعق تنقضّ بين المدَّة والمدَّة فتنير تلك مرآة الجليد الصقيلة عاكسةً عليها انواراً غريبة اشبه بسهام ناريَّة تتصاعد من الارض الى السماء ثمَّ تتلوها الظلمة الحالكة. فكان المهاجر مع ادلّائهِ بعد ان يبهر النور القوي عيونهم يسعون ولكن سدًى لخرق حجُب القتام الكثيف وما زالوا يتقلّبون في هذه الشدَّة حتى اوصلهم البخت الى مخروب في الجبل فلطأُوا فيهِ وعلقوا ينتظرون بارتعاج طول مدَّة الليل حتى تتبدَّد الزوبعة وتنقشع الغيوم. ولمَّا طلع الصباح كان قد انقطع سقوط الثلج الّا ان المهاجر كان قد برَّح بهِ التعب واصبح عاجز عن استئناف السفر فغضب الهنود قائلين:

بطرس الاكبر اسكل اهل رعيّتهِ في القرن الماضي ان يحلقوا لحاهم وتشدَّد على كثيرين ليقسرهم في ذلك. الّا انَّ شيعة الستار وفرتس (Starowertze) جاهدت جهاداً دونهُ الموت وفقدت اموالاً بالغةً حتَّى أُبيح لاصحابها ان يحفظوا لحاهم

١) هذه المقالة اختصرناها عن كتب عديدة فمن اراد التوسُّع في هذا الموضوع فعليهِ بكتاب معجم اللاهوت للخوري ڤيكورو (art. barbe) ومعجم مرتيني (Martigny) وكرواس (Kraus)

— يجب عليك ان تدفع لنا اجرة الأيام التي كنت فيها سبب عاقتنا

— يا لكم من مكّارين وقتلة تنتظرون المسافر حتى يبلغ معكم الى محلّ لا يستطيع فيه تقدمًا ولا تأخرًا وتأخذون في إعناته ليدفع لكم كل ما تريدون

وبعد ان طال الاخذ والردّ بين الفريقين انقلب الامر اخيرًا الى مشاتمة وسباب

ولمّا وصل الهنود بالمهاجر الى مضايق شيلوكوت وكانت الريح وقتئذٍ شديدة الهبوب هجموا عليه كالذئاب فسلبوهُ كل ما معهُ واوجعوهُ ضربًا وغادروهُ بين حيّ وميت

وبعد مدّة افاق المهاجر فرأى الهنود قد بعدوا عنهُ كثيرًا فاخذ يصيح بهم ولكن لم يكن من مجيب فشعر حينئذٍ بخوف شديد استولى على فؤاده وشرع يصرخ صراخ الآئس وهو يلطم خدّيه وينتف شعرهُ لانهُ اعتقد ان الموت جوعًا وبردًا سيلاقيه في ذاك البرّ المقفر ويترك جثّتهُ على الجليد كلقمٍ يهتدي بهِ من يغرّهُ الطمع فيسافر من بعدهِ الى بلاد الذهب. وكان ينادي قائلًا: يا لك من موتٍ قاسٍ شديد لماذا انتظرتَ لماذا تأخرتَ أما كان في وسعك ان تقبضني قبل الآن بدلًا من ان أموت على فراش من الجليد موتًا قاسيًا بطيئًا

واستمرّ على مثل هذه الاقوال وهو يتوقّع المنيّة ان تأتيهُ فتخلّصهُ ممّا بهِ. وكان في خلال ذلك يجدّف ويقذف الشتائم على الحق سبحانهُ كأنَّ الله هو الذي حملهُ على ان يتهوّر في ما تهوّر بهِ اكتسابًا لبعض شذرات من الذهب. وهــذا هو شأن ذوي الاطماع الذين اذا اصابتهم الشدّة لجأوا الى التجديف بدلًا من الصلاة وطلب المعونة

وكانت الغيوم وقتئذٍ انقشعت واخذ الثلج يتصلّب وآثار اقدام الهنود التي تركوها على الثلج تزول وتمّحي شيئًا فشيئًا واذ ذاك ثارت في المهاجر عاصفة يأس ما عليهِ مزيد وبلغت منهُ الحماقة كل مبلغ فاقبل يركض على الجليد كمن اصابهُ جنون ثمّ زلّت قدمهُ فنهض مستئنفًا الركض وهو غير عارف اين يذهب. وبينما هو مسرع انخسف الجليد تحت قدميه فسقط في بهواة كادت تبتلعهُ وهو حي فاجتهد في الخروج منها وما كان اجتهادهُ الّا ليزيدهُ اندفاعًا لانهُ بينما كان يمشي على حافة الهاوية سقط وهو يتدحرج من صخر الى صخر ومن قطعة جمد الى اخرى حتى تشقّق رأسهُ واخذ يتفجّر منهُ ومن فمهِ وعينيهِ واذنيهِ. وكان انهُ لمّا قرب من السقوط في قعر الهاوية علقت ثيابهُ برأس صخر

فوقها وحينئذٍ انتبه لنفسهِ وامسك الصخر بيديهِ بينما كانت رجلاهُ مدلَّاتين في الهواء. ثمَّ نظر الى هوَّة فاتحة فاها لابتلاعهِ فقفَّ شعر رأسهِ خوفاً وارتجفت يداهُ وتشنَّجت رجلاهُ وترك الصخر وصرخ صرخةً تفتت قلب الجماد. وبعد ذلك رؤيت برنيطة طائرة في الهواء. ثم ساد السكوت التامّ

وبينما كان المهاجر المسكين الذي مرَّ وصفهُ يذوق سكرات الموت كنت ترى فئة اخرى من الهنود ترقى في تلك المضايق مع رجل آخر من المهاجرين فوقف هذا وسألهم:

متى نبلغ قنة هذا المضيق ؟

— بعد نصف ساعة

أنكم قوم مكَّارون... ها اننا نسير في هذه الثغرة الحرجة منذ ستّ ساعات وانتم لا تزالون تسخرون بي... واين الطريق أيمناً او شمالاً ؟

— سر على اليمين... ولكن قد ادركنا ضباب كثيف فلا سبيل الى الاهتداء الى الصراط المستقيم... وكأَنَّنا نرى صدوع «ستون هوس»

— فامشوا اذن بنا وتبيَّنوا السبيل

فاخذ الهنود يهبطون بطون الوديان ويرقون المراقي الصعبة في وسط الثلوج وهم يلهثون تعباً وما كانوا يسيرون في تلك المجاهل الّا ويزيدون ضلالاً فلمَّا يئسوا من وجدان الطريق وقفوا وقالوا للمهاجر: لا ندري اين الطريق

— يا لله وكيف اخذتم على أنفسكم ان تدلُّوني على الطريق وانتم تجهلونهُ ؟

— انَّ الثلوج حجبت الطريق عن العيان فضللنا

— ولكن لا بدَّ من الخروج من هذه الوهاد... فارتادوا لنا طريقاً لئلَّا نموت هنا

— لم نعد نستطيع السير

— بخ بخ أيها القوم الاشرار أنكم اتيتم بي الى هذا الحدّ لتحوجوني على زيادةٍ في اجرتكم لكنني اقسم بحياتي اني لا اعطيكم بارةً واحدة فوق ما وعدتكم بهِ

فلمَّا سمع الهنود هذا الكلام وجموا مدةً ثمَّ تبادلوا بينهم لحظاتٍ كأَنَّهم يتشاورون في امرهم واذا بواحد منهم وثب كالوحش الضاري على المهاجر واستلَّ مديةً كانت تحت ثوبهِ فشهرها فوق رأس الغريب يريد قتلهُ. فارتدَّ المسافر الى الوراء ونجا من تلك الضربة الهائلة التي كانت قطعت حبل حياتهِ لا محالة ثم صرخ:

« اوّه ايها النذل اللئيم أهكذا تحاول قتلي فاقترب تلقَ جزاء فعلك »

قال هذا ثمَّ ارى الهنود الثلاثة فردًا ذا ثلث طلقات واردف قولهُ: تقدَّموا ايها الوحوش هذه رصاصة اعدتها لكل واحد منكم الحمد بها انفاسكم

فلمَّا نظر الهنود المسافر يتهدَّدهم وهو شاكي السلاح ارادوا الفرار لكنَّهُ انتهرهم بقولهِ: انَّ اوَّل من يتحرَّك منكم ويقصد الهرب استطلعهُ ميتًا من ساعتهِ. وانت أيها القاتل أولى بان تختبر رصاصي فما اني احطِّم رأسك شماعًا

فاذ سمع الهندي هذا الكلام طار قلبهُ خوفًا وجثا عند اقدام المهاجر يقبِّلها وهو يستنشده بالله طالبًا ان يرقَّ لهُ ويرحمهُ (ستأتي البقيَّة)

شذرات

حلّ المسألتين الحسابيتين الواردتين في العدد السادس عشر ص ٧٦٦

اذا لاحظنا كيفيَّة التوزيع على الاشخاص المجهول عددهم يتبين ان كلًّا منهم يأخذ عددًا من الدراهم يساوي رتبتهُ في صفهِ ويضيف اليها ١/١٠٠ من الباقي لتتساوى حصتهُ مع حصَّة سالفهِ وبما ان السالف يأخذ بموجب رتبتهِ عددًا من الدراهم اقلّ بدرهم واحد ممَّا يأخذ تاليه بموجب رتبتهِ ايضًا فيجب ان يكون ١/١٠٠ من الباقي السابق ازيد من ١/١٠٠ من الباقي التابع بدرهم واحد ايضًا حتى يتعوَّض بهذه الزيادة ما نقص بفرق الرتبة وهذا الفرق بين الاجزاء ثابت بين كل حصتين متتابعتين كما لا يخفى عند ادنى تفكُّر اذًا هو ثابت بين حصَّة الاخير وسالفهِ ايضًا. لكن سالف الاخير اخذ عددًا من الدراهم يساوي رتبتهُ في صفهِ و ١/١٠٠ من الباقي. والاخير اخذ الاجزاء الباقية من هذا الباقي اي ٩٩/١٠٠ فساوت عدده في صفهِ ولم يبقَ شيء. او بعبارة اخرى بقي صفر. فيجب اذًا ان يكون الجزء من مائة من الباقي الاخير الذي اخذهُ السالف الاخير يساوي درهمًا واحدًا وعليه قيمة ٩٩ جزءًا التي اخذها الاخير تساوي ٩٩ درهمًا وهي حصة كل واحد من المقتسمين بموجب شروط المسألة. وبما تقدَّم يتَّضح ان عدد الاشخاص كان ايضًا ٩٩ وقيمة المال المقتسم ٩٩ × ٩٩ = ٩٨٠١ غرشًا وهي ما بقي مع كل واحد من الاربعة اشخاص بعد مبادلة الاخذ والعطاء. وحتى نعرف كم كان يُعطى كلّ منهم

شهريًا فلنفحص بالترتيب عمّا تحتوي بالنسبة الى كل منهم: فهي بالنسبة الى الاول والثاني تحتوي بالنسبة الى الاول اجرة شهرين من اشهرهِ وشهر واحد من كل من الثلاثة الباقين. وبالنسبة الى الثاني تحتوي اجرة ثلاثة اشهر من اشهرهِ وشهر واحد من كل من الثلاثة الباقين اذًا لما نقصنا عند الثاني اجرة شهر من شهري الاول اقتضى ان نضيف بدلها اجرة شهرين من اشهرهِ لئلا تتغيّر قيمة العدد. فأجرة شهر من اشهر الاول تساوي اذًا اجرة شهرين من الثاني واذا قابلنا على هذا النسق ما بين الاول والثالث والاول والرابع نرى ان اجرة شهر من اشهر الاول تساوي ثلاثًا من اشهر الثالث او اربعًا من اشهر الرابع وبالنتيجة فالعدد ٩٨٠١ يحوي على اجرة شهرين من اشهر الاول + ٢/١ شهر + ٣/١ شهر + ٤/١ شهر اي على ١٢/٣٧ شهرًا من اشهر الاول فاذا كان ٣٧ جزءًا تساوي ٩٨٠١ فالجزء الواحد يساوي ٣٧ مرّة اقلّ اي $\frac{٩٨٠١}{٣٧}$ واثني عشر جزءًا اي اجرة شهر كاملة تساوي ١٢ مرّة أكثر اي $\frac{١٢ \times ٩٨٠١}{٣٧} = \frac{١١٧٦١٢}{٣٧}$ وعليهِ فاجرة شهر من اشهر الثاني تساوي $\frac{١١٧٦١٢}{٢ \times ٣٧} = \frac{٥٨٨٠٦}{٣٧}$ واجرة الثالث شهريًا $\frac{١١٧٦١٢}{٣ \times ٣٧} = \frac{٣٩٢٠٤}{٣٧}$ واجرة الرابع شهريًا تساوي $\frac{١١٧٦١٢}{٤ \times ٣٧} = \frac{٢٩٤٠٣}{٣٧}$ فيكون الاول اخذ مدّة الشغل $\frac{١١٧٦١٢ \times ٥}{٣٧} = \frac{٥٨٨٠٦٠}{٣٧}$ والثاني $\frac{٦ \times ٥٨٨٠٦}{٣٧} = \frac{٣٥٢٨٣٦}{٣٧}$ والثالث $\frac{٧ \times ٣٩٢٠٤}{٣٧} = \frac{٢٧٤٤٢٨}{٣٧}$ والرابع $\frac{٨ \times ٢٩٤٠٣}{٣٧} = \frac{٢٣٥٢٢٤}{٣٧}$ ومجموع ما اخذوا يساوي $\frac{١٤٥٠٥٤٨}{٣٧} = ٣٩٢٠٤ = ٤ \times ٩٨٠١$ كما يمكن اختبار ذلك بكل سهولة

وهذه هي الحلّة الجبريّة: لنفرض ان قيمة المقتسم هي ك فتكون حصّة الاول بموجب شروط المسألة:

(١) $١ + \frac{ك - ١}{١٠٠} = \frac{٩٩ \times ك}{١٠٠}$ وتكون حصة الثاني طبقًا للشروط نفسها:

$$(٢) \quad ٢ + \frac{ك - ٢ - \frac{٩٩ + ك}{١٠٠}}{١٠٠} = \frac{٢٠٠٠٠ - ٢٩٩ + ٩٩ ك}{١٠٠٠٠}$$

وبما ان الحصص هي متساوية فلنا بمساواة (١) و (٢): هذه المعادلة الثالثة من الدرجة الاولى.

(٣) $\frac{٢٠٠٠٠ - ٢٩٩ + ٩٩ ك}{١٠٠٠٠} = \frac{٩٩ + ك}{١٠٠}$ واذا حللناها يكون:

(٤) ك = ٩٨٠١ فحصّة كل واحد كانت اذًا $\frac{٩٩ + ٩٨٠١}{١٠٠} = ٩٩$ وعدد المقتسمين

كان $\frac{٩٨٠١}{٩٩}$ = ٩٩ ولاجل الاستعلام عن اجرة كل من الاربعة الاشخاص شهريًا فلنفرض ان اجرة الاول شهريًا ف والثاني ل والثالث م والرابع ن فيكون لنا:

(٥) ٢ ف + ل + م + ن = ٩٨٠١
(٦) ف + ٣ ل + م + ن = ٩٨٠١
(٧) ف + ل + ٤ م + ن = ٩٨٠١
(٨) ف + ل + م + ٥ ن = ٩٨٠١

وبمساواة الاولى مع كل من الثلاث الباقيات نجد: ف = ٢ ل = ٣ م = ٤ ن ومن ذلك تصير الخامسة: ٢ ف + $\frac{١}{٢}$ ف + $\frac{١}{٣}$ ف + $\frac{١}{٤}$ ف = $\frac{٣٧}{١٢}$ ف = ٩٨٠١ و ف = $\frac{٩٨٠١ \times ١٢}{٣٧}$

ثم يكمل العمل كما في الحلّة الحسابية اي ان ف = $\frac{١١٧٦١٢}{٣٧}$ و ل = $\frac{٥٨٨٠٦}{٣٧}$ الخ

حلٌ لسؤل الخواجا يوسف عيسى — لنفرض ان ثمن البغل ك وثمن الجمل ل وثمن الحمار م فيكون لنا:

(١): ٢ ك + ل + م = ١٠٠
(٢): ك + ٤ ل + م = ١٠٠
(٣): ك + ل + ٥ م = ١٠٠

واذا ساوينا (١) بكل من المعادلتين التاليتين نجد ك = ٣ ل = ٤ م وعليه تصير الاولى:

(٤) ٢ ك + $\frac{ك}{٣}$ + $\frac{ك}{٤}$ = ١٠٠ = $\frac{٢١}{١٢}$ ك فتكون ك = $\frac{١٠٠ \times ١٢}{٢١}$ = ٦٠ ومن ذلك لنا ل = $\frac{٦٠}{٣}$ = ٢٠ و م = $\frac{٦٠}{٤}$ = ١٥

اي يكون ثمن البغل ٦٠ درهمًا وثمن الجمل ٢٠ درهمًا وثمن الحمار ١٥ درهمًا

قد حلَّ هذين السؤالين حضرة الرياضي البارع الخوري جبرائيل رزق مرهج. امَّا السؤال الثاني فقد حلَّهُ ايضًا حسابيًا احد الرهبان الفرنسيين الافاضل من المدبّرين للمدرسة الرعويَّة في القدس الشريف والافنديين شكري حوا. واسكندر ابرهيم طراد

عدد الاطباء في فرنسة — كان الاطباء الذين يتعاطون مهنتهم في فرنسة في غرَّة ١٨٩٨ نحو ١٥,٩٨٤ طبيبًا فبلغ في اول السنة الجارية ١٧.٥٥٥ فزاد عددهم ١٥٧١ شخصًا

الاكتتاب المصري الاخير — كانت نتيجة الاكتتاب الاخير في مصر ان عدد سكّانها عشرة آلاف الف (١٠,٠٠٠,٠٠٠) يبلغ الاجانب منهم ١١٢,٠٠٠ شخصًا فقط منهم ٣٨٠٠٠ يوناني و ٢٤٠٠٠ ايطالي و ١٩٠٠٠ انكليزي

و ١٤٠٠٠ فرنسي

تجارة الحنطة بيَّن الكيمويّ الشهير وليم كروكس انَّ المتاجرة بالحبوب لاسيما الحنطة اضحت في ايَّامنا من اربح التجارات لانَّ عدد المقتذين بالبرّ لا يزال يزيد زيادةً عظمى تبلغ سنويًا ستة ملايين. وقد اضحى هـذا العدد ضعف ما كان عليهِ قبل ٢٥ سنة. فاذا بقيت هذه الزيادة على حالها لم تعد كلّ سهول اميركة وروسيَّة كافية لنصف عدد الآكلين في العالم بعد خمسين سنة. ومن ثمَّ لا بدَّ من توفير هذه التجارة واتّخاذ الوسائل الكيمويَّة الجديدة لتركية زرع الحنطة وتوسيع نطاقها في العالم

مطبوعات شرقية جديدة

VOM MITTELMEER ZUM PERSISCHEN GOLF

Von Dr M. F. Oppenheim, I, SS. 334, Berlin 1899,

من البحر المتوسّط الى خليج العجم

رحلة حديثة للدكتور مكس فون أُوبنهَيم

اهدى الينا الدكتور فون أُوبنهَيم المجلد الاوَّل من اخبار رحلته سنة ١٨٩٣ الى سوريَّة ولبنان وحوران وجبل الدروز وتدمر وبادية الشام. وقد وصف باللغة الالمانيَّة سفرهُ هذا احسن وصف حتى يخال لقارئهِ أنهُ يرى الموصوف رأيَ العيان. ومن مزايا هذا التأليف أنهُ يتضمَّن عدَّة تصاوير بديعة رسمها المؤلف نفسهُ بالفوتغرافية في اثناء رحلتهِ وأحسن اختيارها. ثمَّ انَّ هذا الجزء مفعم بفوائد تاريخيَّة وجغرافيَّة وادبيَّة قديمة وحديثة تشهد لصاحبها بسعة العلم ودقّة التنقيب. ونعم ما صنع بذكرهِ اعلام المدن والاشخاص والاسماء الاصطلاحيَّة بحرفها العربيّ لئلَّا يلتبس على احد حقيقة لفظها. وفي الاجمال انَّ هذا الكتاب جامع لاصناف المحاسن نحثُّ عامَّة القرَّاء من المستشرقين على مطالعتهِ والتقاط فوائدهِ

DER ISLAMISCHE ORIENT, I

Islam und arabisch—Der heilige Barsisâ, etc

Von M. Hartmann, Berlin, Peiser, 1899, pp. 40

طرائف شرقيَّة

قد اختلب الشرقُ قلبَ الدكتور مرتين هرتمن فهو لا يزال يتقصَّى البحث في

امور بلادنا ومختلف احوالها . وفي تأليفهِ هذا الحديث عدة مقالات لا يسعنا الخوض في وصفها لخروج معظمها عن دائرة هذه المجلة . بيد أنّنا لا نخالهُ مصيباً في ما كتبهُ عن المرسلين المسيحيين في نبذتهِ الاولى وعن استبدال الاحرف العربيّة في طباعة الكتب باحرف فرنجيّة لخدمة العامّة لاسيما وهو قد وصف في نبذتهِ الاخيرة ولوع الشرقيّ بلغتهِ وكتابة اجدادهِ — امّا الفوائد التاريخيّة والجغرافيّة التي حلّى بها الكاتب تصنيفهُ فهي جديرة بالثناء

س . ر

(تنبيه) لدينا عدّة كتب أُرسلت الى ادارة المشرق لم يسمح لنا ضيق المكان ان نبسط فيها الكلام هذه المرّة فأجّلنا وصفها الى عدد آخر

أَسئِلَة وَأَجوبة

س سألنا احد قرّائنا الافاضل في بغداد ما هو نبات الزّيه المذكور في اقرب الموارد وفي محيط المحيط الّا انّهُ لم يُذكر في غيرهما من المعجمات

نبات الزّيه

ج الزّيه كلمة مصريّة ورد ذكرها في كتاب الكواكب السائرة في اخبار مصر والقاهرة لشمس الدين البكري الصدّيقي من كتبة القرن العاشر للهجرة فقال في اثناء كلامهِ عن الحشيش الذي يستعملهُ الحشّاشون « انّ الحشيش يعرف ايضاً بالزّيه » . ولم يزد على ذلك شرحاً

س وسألنا الخواجا انطون سليمان شديد ما هي الواسطة الاكيدة المجرَّبة المانعة حدوث المالوش او الحالوت في التوت الجوي فييبس تتابعاً كل عام

دواء المالوش او الحالوت

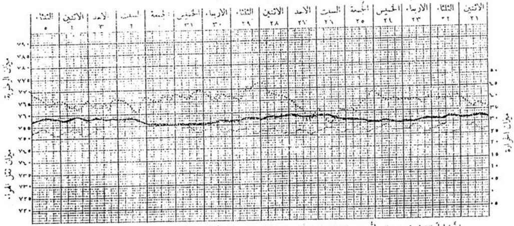
ج المالوش (courtillière) دويبّة تؤذي كلّ الزروع وخصوصاً البقول واحسن دواء لقتلها ان يؤخذ ثلاثة اجزاء من الماء ويضاف اليها جزء من غاز البترول فيصبّ في ثقب وكرها فتتلف لا محالة

ل . ش

اصلاح غلط

الصفحة ٧٩٤ س ٥ و ٦ cenomeles والصواب œnomels ص ٨١١ س ١٦ .Gist والصواب .Cist

قائمة الآثار الجوّية من ٢١ آب الى ٥ ايلول ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (——) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (••••••) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالمِلمترات وبعُشر المِلمترات